مجلة

المنار

المجلد الرابع

الجزء السابع والثامن

إهداء من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...

الجديد في طرق

NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

شبكة الألوكة
www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

(المجلد الرابع) الجزء السابع

المنار
١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و« منارا» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣١٩ — ٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠١)

السخاء والبخل (تتمة)

أتعجب من ضلال عامة الناس في فهم حقيقة السخي، على ما له في نفوسهم القدر العلي، وإلباسهم البخلاء الشحاح، لبوس اهل الجود والسماح، ؟ أليس هذا الخطأ من اهل العلم والادب، اجدر بنبث بثار العجب، بعد ما رفع الله تعالى في القرآن، من ذكر اهل البر والاحسان، وجعل بذل المال في سبيله آية الايمان، وامساكه آية الكفر والخسران، إقرأ ان شئت قوله تعالى: « ارأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، » وقوله جل علاه، « وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة »، وارجع الى سورة الحجرات، واتل ما ورد في الأعراب من الآيات، فقد بينت حقيقة المؤمنين، بعد انكار دعوى الايمان على اولئك المسلمين، وذلك قوله تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في

www.alukah.net شبكة الألوكة

سبيل الله اولئك هم الصادقون » . وناهيك بما ورد من الوعيد الشديد لمن يكنز المال ، ووَعْد المتصدقين بمضاعفة الاعمال ، وبعد ما جعل الشرع فى اموال المسلمين وكسبهم من حرث ونسل وتجارة ذلك الحق المعلوم . وفرض عليهم القيام بالنفقات الضرورية على من يعجز عن كسب يذهب بضرورته ، ويسدُّ من خلته ، سواء كان من المسلمين ، ام كان من الذميين ، وما هذا الالزام بالبذل ، الا لتزكية النفس من رذيلة البخل ، وتعويدها على الجود ، مما يسمح به الوجود ، وقد ورد فى معنى هذه الآيات احاديث كثيرة من اشدها وعيداً حديث البخاري فى الادب والترمذىّ فى صحيحه وهو : « خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن — البخل وسوء الخلق » وفى رواية لغيرهما « البخل والكذب » . وحديث ابن ابى شيبة وهناد والنسائى والحاكم والبيهقي وهو : « لا يجتمع الشحُّ والايمان فى قلب عبد ابدا »

هذا شأن السخاء والبخل فى نظر الدين وما سلم رجال الدين معه من الخلاف فى تعريفهما عند ما انشأوا يضعون الحدود الجامعة المانعة للاصطلاحات الشرعية لبعد العهد باللغة وما يتبادر منها . فقالت طائفة : ان البخل هو منع الواجب من نحو زكاة ونفقة قريب . وهدم بعضهم هذا الحد قائلا : ان الذي يعطي عياله ما يفرضه القاضي من النفقة ثم يضايقهم فى لقمة زادوها ، او ثمرة من ماله اكلوها ، يعد بخيلا . ومن كان بين يديه طعام فحضر من يظن انه يأكل معه فأخفاه عنه فهو بخيل وكذلك من يرد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة يوصف بالبخل كما وصفوا مروان ابن ابى حفصة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال قوم : ان البخيل من يستصعب العطية فى نفسه وردّ هذا القول لاطلاق لفظ العطية فانّ السخي الجواد قد يصعب عليه ان يبذل جميع ما يملك او ما هو فى اشد الحاجة اليه لنحو وفاء دين او نفقة من تجب عليه نفقته بل السخيُّ الحقيقي يستصعب وضع المال فى غير موضعه واعطاءه لغير مستحقه كمن يعلم انه ينفقه فى معصية او يستعين به على مفسدة .

واختلفت اقوالهم فى السخاء والجود فقال بعضهم : هو عطاء بلا مَنٍّ واسعاف من غير رؤية . وهو قول غير مرضيٍّ لان البخيل قد يعطي لغرض من الاغراض التي شرحناها فى النبذة الاولى ولا يمنّ لئلا يحبط عمله ويخيب سعيه . وقد يسعف ولا يرى نفسه مسعفاً لعلمه بأنه يمنُّ ليستكثر ويسعف ليسعَف . وقيل : هو العطاء من غير مسئلة . وهو كما ترى . وفصل القشيري فى رسالته بين السخاء والجود وفصل بينهما وبين البخل نقلاً عن استاذه الدقاق فقال : من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل . وهو قول مردود ، غير محيط الحدود ، وقيل الجود ، بذل الموجود ، وهو قول من لا يميز فى العطاء ، بين التبذير والسخاء ،

والحد الصحيح ، الذى يشهد له النص الصريح ، هو ان السخاء أريحية ، وصفة نفسية ، تقف بصاحبها فى وسط ، بين تفريط القبض وافراط البسط ، بحيث ينذل المال بارتياح ، اذا حسن فى الشرع والعقل البذل والسماح ، فان بذل بغير ارتياح فهو متكلف محمود ، لانه يربى نفسه على الجود ، ولا يلبث ان يزول التكلف فيكون سخياً ، وتأنس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نفسه بالبذل فيكون جواداً حقيقياً ، والبخل كيفية من كيفيات النفس الخبيثة وخلق من اخلاقها الرديئة اذا عرض لصاحبه موجب البذل فى معروف ، او إغاثة ملهوف ، او مساعدة جمعية خيرية ، انشئت للمنافع المليّة ، ينقبض صدره ، وينقبض لصدره كفه ، فيبخل بالدرهم والدينار ، ويجود بالتعلات ويسخو بالاعذار ،

فمن اعذار البخلاء ، الإحالة على المشيئة والقضاء ، « واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنُطْعِمُ من لو يشاء الله أطعمه إنْ انتم الا فى ضلالٍ مبين » ويقولون لو اراد الله بهؤلاء الفقراء خيراً لاعطاهم ، ولواقتضت حكمته ان يكونوا اغنياء لأغناهم ، ولا يقولون ان الله تعالى فضلنا عليهم ، فلنَفْضِ بشيءٍ من فضل نعمه اليهم ، وجعل بعضنا لبعض فتنة ، فلنصبر على منحهم النوال كما صبروا على المحنة ، وحسبنا ان اليد العليا ، خير من اليد السفلى ،

ومن اعذارهم ان اكثر السائلين ، يظهرون على الغنى باخلاق المساكين ، فصلتهم ليست من البر ، ولا يعود على المرء منها اجر ، ومن اعذارهم ان انفاق المال فى غير مقابلة عمل ، يغري الناس بالبطالة والكسل ، ولذلك يذمه الاوروبيون ، وهم فى ذلك محقون ، وبذل المال وإمساكه هو سبب خسراننا وفلاحهم ، وعلة خذلاننا ونجاحهم ،

فان قيل لهؤلاء واؤلئك : ان كنتم صادقين فى اعتذاركم ، ومُسكين لما ذكرتم من تعلاتكم وأعذاركم ، ومُستَنين بسنة الاوربيين ، لانهم فى نظركم من المصيبين ، وليست ايديكم بسلاسل البخل مغلولة ، ولا ايدائ الشح الذميم مشلولة ، فامسكوا عن السائلين ، وامنعوا الكسالى والبطالين ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالشريعة قد ذمت السؤال ، وورد : ان الله يكره العبد البطال ، ولكن ما تقولون فى العجزة والضعفاء ، واليتامى الفقراء ، هل تجدون لكم عذرا فى تركهم سدى ، او تجدون على نار تقليد الاوربيين هدى ، وما تقولون فى الانفاق على المدارس العلمية ، والجمعيات الدينية ، التي بها نجح الاوربيون ، لا بالبخل والشح كما تزعمون ، فلماذا لا تتلون فيها تلوهم ، ولا تحذون حذوهم ، ؟ الم يأتكم فى كل يوم انباء بذلهم الالوف والملايين ، على معاهد العلم والصناعة والدين ، (١)

ولا تحسبن ايها القارئ الكريم ، الذى لم يكتنه خلق الشحاح اللئيم ، أن هذه الحجج الناصعة ، والبراهين القاطعة ، تقطع لسانه او تمحو بهتانه ، فتكون للسانه خير عقال ، وتحل يديه من السلاسل والاغلال ، كلا انه بعد بيان الآيات ، ليتعذر بعدم الثقة بالجمعيات ، فان كانت مؤسسة لاعانة العجزة والبائسين ، يقول انما نحن فى حاجة الى تربية اولاد الفقراء والمساكين ، وان كان من موضوعها التربية الملية ، يقول نحن احوج الى

(١) آخر انباء المنح الكبيرة نبأ المثرى الكبير كارنجي الاسكتلندي الذى وهب مدارس وطنه مليونى جنيه وثروة هذا الرجل تقدر بخمسين مليون جنيه . ولم ننس ذلك اليوناني العظيم الذي توفى فى السنة الماضية عن مليونى جنيه اكتسبها من القطر المصرى واوصى بثلاثين الف جنيه منها الف جنيه للجمعية الخيرية الاسلامية بمصر وهي هبة لم تر مثلها الجمعية من اغنياء المسلمين ولو كان فى مصر الف كريم كهذا اليوناني (ليلابوبلو) يعضدون هذه الجمعية لانشأت فى القطر مدارس صناعية بل ومدرسة كلية تكون منبعاً لنهضة جديدة ومن العار على كل غنى فى مصر ان لايكون لهذه الجمعية مثل هذه المدارس . ولو شئنا ان نسرد ما نشرته الجرائد العربية لا سيما المقتطف من اخبار الهبات العلمية فى اميركا واوربا لاحتجنا الى عدة مقالات

إهداء مكتبة الألوكة www.alukah.net

المدارس الصناعية ، وان كان من موضوعها ذلك ، وقيل له انه لا يتم الا بمساعدة امثالك ، يقول ليس عندنا استعداد ، للقيام بما يكون به الإسعاد ، ولا يسمع لمن يقول يجب اذن ان نسعى فى ايجاد ذلك الاستعداد ، ولا يتم ذلك الا بالبذل والإمداد ، لانه يرى ان اضاعة المال ، أن يدخل فى غير الصندوق او يخرج لغير الاستغلال ، ويصح ان يقال فى هؤلاء الاشحاء ، ماقيل فى الجبناء ، لان الجبن والشح من جب واحد

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأختم القول بأنه لا عذر لمسلم فى دينه ، ولا لوطنى فى وطنه ، ولا ولا لانسان فى انسانيته ، ان يرى امته تتلاشى وتضمحل ، وملته تذوب وتضمحل ، وهو يعلم ان حياة الامم فى هذا العصر بالمال لانه هو الذى يرقى العلوم والفنون وهو الذى يربى النفوس والاخلاق وهو الذى يوجد الصناعة ، وينمى التجارة ويثمر الزراعة ، وهو الذى ينهض بالدولة ، ويعطيها القوة والصولة ، بل هو كل شىء اذ لا يتم بدونه شىء — يعلم هذا كله ثم لا يجود لانقاذها بشىء من فضل ماله . لا سيما فى هذه البلاد المصرية ، وفيها مثل الجمعية الخيرية ، القائمة على خير اساس ، ينفع البلاد والناس ، ومثل جمعية العروة الوثقى وجمعية المساعي المشكورة . وغيرهما من الجمعيات الدينية الادبية كجمعية شمس الاسلام وجمعية مكارم الاخلاق وجمعية شمس المكارم . فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليساعد هذه الجمعيات كلها او بعضها او ما يوافق مشربه منها بحسب الاستطاعة « لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ من سعته ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً »

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ باب العقائد من الامالي الدينية ﴾

الدرس العشرون — الوحي واقسامه

م (٦٠) امكان الوحي — تقدم ان اثبات النبوة يتوقف على اثبات كون الانسان مركباً من جسد وروح وأن الروح ليست من عالم الملك المادي المشهود وانما هي من ملكوت أعلى مغيب بحقيقته عنا وقد عرفنا ارواحنا بآثارها ، لا بكنهها واسرارها ، وكما يمتاز افراد من الناس بالقوة الجثمانية على سائر اهل قطرهم او على سائر الناس كقيصر روسيا السابق (اسكندر الثالث) الذي كانت تلين في يديه المعادن حتى ان كان ليفمز الريال الروسي من وسطه بأصبعه فيصير مجوفاً كالفنجانة ويضع فيه زهرة ويعطيها لاحدى عقائل النساء في مجلسه ذاك . كذلك يكون لبعض الاناسي قوة روحانية يفوقون فيها سائر البشر . فاذا كان من اثر القوة الجسدية ماذكرنا عن قيصر روسيا السابق فان من آثار قوة الروح في البشر ما هو اظهر من ذلك وابعد في التفاوت بين افراد الناس

آثار القوة الروحية سعة العقل والعرفان وشدة العزيمة والارادة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المساعدة على العمل بما يحيط به العقل من المعرفة بالمصالح حتى اننا نرى الرجل الواحد يحيي امة اواممًا بعد مماتها ، ويجمع شملها بعد شتاتها ، ويعمل ما تعجز عنه الملايين كعمل السلطان صلاح الدين ، فى قهر ملوك اوربا واعادة سلطة المسلمين ، وكعمل بسمرك فى الوحدة الالمانية ، وواشنطون فى تحرير البلاد الاميركانية ، حتى ان بعض اهل الزيغ والجحود توهموا ان ما اعطيه الانبياء من سياسة البشر واصلاح شؤونهم وتقويم مدنيتهم هو نحو ما ذكرنا عن هؤلاء الملوك والسياسيين وما ابعد ما يتوهمون فان هؤلاء الرجال ظهروا فى امم لها اديان تهذبها ، وشرائع وقوانين تحكم بها ، وجيوش منظمة تحمي حقيقتها ، وتدافع عن حوزتها ، ولكنها أساءت استعمالها ، او رزئت باهمالها ، فارشدوها الى الانتفاع بما وهبت فعملت بارشادهم ، واسعدوها بالرأى الصحيح فسعدت باسعادهم ، فأين هذا من حال الانبياء المرسلين ، الذين بعثوا فى اقوام وثنيين ، يدعونهم الى ترك ما هم عليه من الاعتقادات ، ونبذ ما ألفوه من التقاليد والعادات ، ولم يكن لهم فى ابان ظهورهم قوة ملك يعتمدون عليها ، ولا شرائع يقتبسون منها ، وهل قياس هؤلاء بأولئك ، الا كقياس الحدادين بالملائك ، ؟ وانما ضربنا بهم المثل لبعد المسافة بينهم وبين سائر الناس كما ان المسافة بينهم وبين الانبياء فى البعد على نحو تلك النسبة أو ابعد منها

م (٦١) ضروب الوحي وأنواعه — الوحي فى اللغة اختصاصك احدًا بكلام أو اعلام تخفيه عن غيره . وأصله الاشارة السريعة كما قال الراغب ووحي الله الى الانبياء عبارة عما يختصهم به من المعارف التى يريد ان يعملوا بها وان يبلغوها الناس للاهتداء بها بحيث يكونون على بينة من ربهم وثقة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تامة بأن ذلك من لدنه سبحانه وتعالى . ولا يعلم كنه الوحي وحقيقته الا من اختصهم الله تعالى به . وقصارى ما يصل اليه علمنا ان نعرف بالدليل انهم صادقون فى دعوى الوحي وتبليغنا عن العليم الحكيم الرحمن الرحيم ما مست حاجتنا اليه ، وسبق التنبيه عليه ، وان نفهم ماورد عنهم فى ذلك الوحي من بيانه ، ورسومه واقسامه

قال تعالى « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحيَ باذنه ما يشاء انه عليٌّ حكيم » فالآية الشريفة ناطقة بأن طرق كلام الله لانبيائه ثلاثة احدها الوحى بلا واسطة وقد غلب هذا الاطلاق فى العرف والاصطلاح . وانما تكون للنبي تلك الانواع او بعضها بالقوة الروحانية الفائقة التى فطره الله تعالى عليها

من وظيفة تلك القوة وآثارها تمزيق الحجب المادية التي حجبت الروح عن معالمها ، وكسر المقاطر الحسية[1] التى عاقتها عن العروج الى عالمها ، فتعرج باذن الله تعالى الى الملكوت وتتصل بمن شاء الله تعالى من عماره المقربين — تتصل بالملك المسمى بروح القدس والروح الامين ، «وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم »

يتلقى النبي بهذا العروج الروحاني عن الله تعالى من المعارف التى لا ينالها الناس بكسبهم ما هم فى اشد الحاجة اليه فى نظام جميعهم وإصلاح احوال معيشتهم ولتطهير عقولهم من ادران الشرك والجهل بالله تعالى

(١) المقاطر جمع مقطرة وهي خشبة فيها ثقوب توضع فيها ارجل المحبوسين

إهتلم من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتنظيف نفوسهم من لوث الاخلاق الذميمة والسجايا الرديئة وتحليتهم بالعقائد الحقة والاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة والعبادات البدنية المرضية التي تمدّ العقائد والاخلاق والآداب وتستمد منها لانها كالبريد بين العقل والنفس . وبين الجسد والحس ، وهذا التلقي قد يكون بالالهام وعبرت عنه الآية بالوحي المطلق . وهذا الحرف مستعمل في القرآن بمعنى الالهام كما قال تعالى «وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً» الخ . وقال جل ذكره « وأوحينا الى ام موسى ان ارضعيه » الآية . وليس كل موحى اليه بالالهام الصحيح نبياً مرسلاً بل النبيُّ هو الموحى اليه بالدين الذي يرشد به الناس . وكذلك يقال في مكالمة الملك التي وقعت للسيدة مريم عليها السلام وهي ليست بنبية على الصحيح الذي عليه الجمهور . والرؤيا الصادقة من هذا القسم وكانت اول وحي نبينا عليه الصلاة والسلام كما ورد في حديث البخاري المشهور . وادخل بعضهم الالقاء في القلب في معنى وحي الالهام واستدلوا عليه بقول عبيد بن الأبرص :

واوحى الي الله ان قد تآمروا بإبل ابي أوْفى فقمت على رجلي

نعم انه يريد بالوحي ان الله خلق في قلبه علماً بذلك لا يعرف مصدره وهذا هو الالهام . ولكن ورد في الحديث ذكر الالقاء والنفث في الروع مضافاً الى روح القدس فيدل على انه يكون من القسم الثالث وهو الوحي بواسطة الرسول . والكل وحي وهذا الأول ما يكون بغير واسطة

هذا النوع من التلقي عن الله تعالى يحصل في روح النبي دفعة واحدة من غير ان تكون الروح متعلقة بشيء من الاشياء التي تشغلها عن الحس لتجتمع الهمة ويتم الانسلاخ عن العالم المادي والاتصال بالعالم الروحاني

وهو الوحي بدون واسطة مطلقاً . واما النوع الثاني فهو ما يفيض فيه للنبي ما تتعلق به نفسه ، ويشتغل به حسه ، حتى تجتمع الهمة ويصح توجه الروح وتبلغ الكمال في قوتها العقلية ، بعد الانقطاع عن الشواغل الكونية ، فيكون ذلك حجاباً له بين عالم الغيب وعالم الشهادة ويأتيه الوحي من وراء هذا الحجاب . ومن ذلك النار التي رآها موسى عليه السلام في الشجرة فطار اليها لبه ، وتعلق بها قلبه ، وانحصرت في مشكاتها روحه ، فكان منها فتوحه ، وجاءه منها العلم والحكم « وكلم الله موسى تكليماً » وكل كلامه تعالى يسمى وحياً ولذلك قال عز وجل « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى »

وبقي التلقي عن الله تعالى بواسطة الملك المسمى بالروح وهو القسم الثالث المعبر عنه في الآية بقوله تعالى « او يرسل رسولا فيوحي » الى النبي ويعلمه بما يلقيه في قلبه « باذنه » تعالى « ما يشاء » سبحانه ان يوحيه كما قال « نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين » فهذه الآية تدل على ان الملك يلقي ما يريد الله القاءه للنبي في القلب فهو خطاب الروح للروح لما يكون بينهما من الاتصال . وقد ورد في الصحيح ان الملك كان يتمثل بهيئة انسان ويؤيده قوله تعالى « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » . وهل يكون كلامه حينئذ كلام البشر كما في حديث الايمان والاسلام والاحسان ام هو مناجاة روحية على كل حال كما هو ظاهر قوله تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك » ام يكون تارة هكذا وتارة كذلك ؟ الله ورسله اعلم

م (٦٢) الوقوف عند النصوص علينا ان نفهم النصوص وما لنا ان نزيد فيها ولا ان ننقص منها لان هذا مما لا يعرف بالقياس . ولا مجال في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حقيقته للعقل ولا للحواس ، وما اختلف المختلفون وفرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم كل فرقة الرد على الاخرى الا لتسمية هذا الوحي بأنواعه كلام الله تعالى وايحاءه تكليم الله عز وجل . ولو لم يرد الا لفظ الوحى والايحاء ، والتعليم والانباء ، كقوله تعالى « وعلمك ما لم تكن تعلم » وقوله تبارك اسمه « نبأنى العليم الخبير » لما كان لهم ان يقولوا ما قالوه فى الصفة النفسية والصفة اللفظية ولا ان يثبتوا له سبحانه صوتاً وحروفاً الى غير ذلك مما نمسك عن الخوض فيه عملاً بهدي الراشدين . وفى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع احياناً كصوت السلسلة على الصفوان ولعل ذلك حجاب كنار موسى . وقد علمنا من الآية أن القرآن الكريم اطلق لفظ التكليم على الوحى الذى بمعنى الالهام ورؤى المنام والذى بواسطة الحجاب والذى بواسطة الروح الذى ينزل على القلب . وظواهر الآيات تنأى بك عن قياس التمثيل ، وتربأ بنفسك عن القال والقيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ باب الاسئلة والاجوبة الدينية ﴾

(١) من الشيخ احمد محمد الالنى فى طوخ القراموص : من اين اخذتم وتأخذون الاحكام التى اجبتم وتجيبون بها على اسئلتنا عدا ما نقلتموه عن الغزالى أهى باجتهاد منكم خاصة ام من مذاهب الائمة المجتهدين ام خليط من هذا وذاك اه بنصه

(ج) لانكتب جواباً على اطلاقه الا اذا قام عندنا دليل على صحته توصلنا اليه ببحثنا واجتهادنا ولم نكتب جواباً مخالفاً لمذاهب الائمة المجتهدين

(٢) ومنه : هل يصح للناظر ان يستدل باقوال الاصوليين والمتكلمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمحدثين والمفسرين والفقهاء المجتهدين والصوفية طبقة بعد اخرى ام لابد ان يكون الدليل من الكتاب والسنة ليس الا . وهل الاجماع والقياس من اصول الدين كالكتاب والسنة فى الاستدلال ام لا . وهل الآحاد لايجوز العمل والاستدلال بروايتها اذا ثبتت صحتها ؛ والا فما الفائدة منها اه بنصه

(ج) انما يستدل المناظر بما تقوم به الحجة على خصمه فمن كان يناظر من يحتج بكلام هؤلاء العلماء يصح له ان يحتج عليه بكلامهم لاجل الالزام كما هو معلوم من فن المناظرة . واما الاجماع والقياس فالجماهير يعدونهما من اصول الاستدلال فى الفقه على خلاف ترونه فى محاورات المصلح والمقلد الآتية وبهذا تعلمون انهما ليسا محل وفاق كالكتاب والسنة . واما احاديث الآحاد الصحيحة فيحتج بها فى كل ما يكتفى فيه بالظن كالاحكام واما ما يطلب فيه القطع كالاعتقادات فلا يستدل عليه بالآحاد . هذا ما اتفقوا عليه فى جملته . وفى التفاصيل والجزئيات خلاف الحنفية فى ترك احاديث الآحاد التى تخالف القياس الجلي

(٣) ومنه : ما نقلتموه عن الغزالى من تقسيم العلوم الى محمود ومذموم ليس غرضنا وانما مرادنا هل قال احد من المجتهدين بمنع تعلم وتعليم العلوم النافعة فى الدنيا والآخرة الحالية من الالحاد والمفسدة حتى يمكن ان يقال ان مذاهبهم فيها ما يمنع الترقى المادى والمعنوى . وهل علم الكلام وعلم التصوف وتدوينهما فنا مستقلا كغيرهما من العلوم الحادثة بحدوث الاسلام على ما ذهب اليه ائمة الهدى ومصابيح الدجى من جمهور اهل السنة والجماعة يعد مفسدة فى الدين والدنيا .. واذا كان كذلك فما حكم من عمل بهما من المسلمين . والا فما معنى انتقاد تدوينهما والاخذ بأحكامهما اه بنصه

www.alukah.net شبكة الألوكة

(ج) ما كان يخطر فى بالنا ان احداً يسأل السؤال الأول فكيف يسأله من يُعلم من توقيع مكاتيبه انه « خادم العلوم والآداب » وكيف يمنع مجتهد فى العلم تعليم ما ينفع فى الدنيا والآخرة ولا ضرر فيه مطلقاً !!! أما العلوم النافعة فى الدين فهى علوم المجتهدين الذين تعنيهم وأما العلوم الكونية التى كان يرجى ان ترتقى بها مدنية المسلمين وترتقي دنياهم فلم تنتشر فيهم الا بعد الائمة الأربعة . وقد شنّ الغارة على اصحابها علماء مذاهبهم وذموا علومهم وحرموها ورموا المشتغلين بها بالكفر والالحاد كابن سينا وابن رشد والفارابي والغزالى وكمال الدين بن معية واضرابهم وما زالوا يطاردونهم ويستعينون بالامراء عليهم حتى اضمحلوا وتلاشت علومهم ثم عادوا الى الاعتراف بفضل بعضهم كالامام الغزالى الذى حكموا باحراق كتابه احياء علوم الدين فى الشرق والغرب حتى كان يحرق فى اسواق القاهرة اكداساً اكداساً . وما اجمعوا على فضله بعد موته الا لأنه زهد فى الدنيا وقضى سائر عمره فى التأليف فى الاخلاق والرقائق . وقد كان من تأثير هذه الغارة ان المسلمين تركوا تلك العلوم حتى الطب منها وقد شكا الغزالى فى احيائه من فقد الاطباء المسلمين ومما كذّب به مزاعم الفقهاء الذين يزعمون انهم يشتغلون بدقائق الفقه لانه فرض كفاية انهم لو كانوا صادقين لأحيوا فن الطب لأنه من فروض الكفايات المتروكة بخلاف الفقه . ولا يزال فقهاؤنا الى اليوم يذمون علوم الدنيا مع علمهم بأن الدين لا يحفظ الا بالدنيا وان القوة فيها موقوفة فى هذا العصر على هذه العلوم والفنون . ولعل السائل لم ينس المقالات التى كتبت فى المؤيد منذ نحو سنة فى ذم الحجاب والهندسة وتقويم البلدان . فالمنتقدون فى هذا المقام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ينتقدون امثال هؤلاء الذين يعتقد عامة المسلمين انهم حفظة الدين لا انهم ينتقدون الائمة كابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضي الله تعالى عنهم

واما علم الكلام فقد حدث في الملة على عهد الأئمة فحرّموه وذمّوه وقد نقلنا اقوالهم في ذلك في المسئلة ٥٢ من الدرس السابع عشر من الامالي الدينية المنشور في الجزء الاخير من مجلد المنار الثالث . وقد جمعنا ثمة بين اقوالهم وبين ما ذهب اليه المخلف من استحسان علم الكلام والقول بلزومه فراجعه

واما علم التصوف فهو على قسمين القسم الاول ما يتكلمون فيه على تهذيب الاخلاق وتأديب النفوس بآداب الدين ومحاسبتها على الاخلاص لله تعالى ومطالبتها بكمال التوحيد الذي لا يشهد صاحبه فعلا لغير الله تعالى ويرى الخلق مسخرين في قبضته مع عدم الغفلة عن الاسباب التي اقتضتها الحكمة وتمّ بها النظام وهذا هو لباب الشريعة ورجاله رجال الرسالة القشيرية واضرابهم رضي الله تعالى عنهم . وكان هؤلاء على طريقة الصحابة والتابعين في اخلاقهم وآدابهم وزادوا عليهم الكتابة والتأليف — ونعمت الزيادة — والمبالغة في ترك الدنيا وذمها زهداً فيها وقد كان لهذا اثر بيّن في كسل المسلمين وتقاعدهم عن الترقي في الدنيا وقد بينا عذرهم في بعض ما كتبنا ولعلنا نذكره في المنار بعد . وهذا القسم من التصوف يسمونه التخلق

والقسم الثاني يسمونه التحقيق وعلمه علم الاسرار ويتكلمون فيه عن الاذواق والمواجد وعما وراء الحس من عوالم الغيب وعن الذات الالهية والصفات العلية ووحدة الوجود وهنالك المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة التي تاه فيها الادلاء وغرق فيها الملاحون وكان التأليف

إهداء ٢٦٠ شبكة الألوكة www.alukah.net

فيها طامة كبرى ومصيبة عظمى . ولقد كان الشيوخ الاجلاء ينكرون الكلام فيها فما بالك بالتأليف والتصنيف حتى ان الاستاذ الجنيد أفتى مع الفقهاء بقتل الحلاج . اما منبع هذه الطريقة فهو الصين ثم انتشرت فى الهند وانتقلت وساوسها الى اليونان . ولما امتدت الفتوحات الاسلامية وامتزج المسلمون بجميع امم الارض مزجوا علومهم بما اخذوه عن تلك الامم وصبغوه بصبغة الدين ولونوه بلونه وذهبوا فيه مذاهب شتى . وكان اشد تلك المذاهب فتكاً فى الاسلام مذهب الباطنية وله شعب وفروع وقد راج كثير من مسائله على كثيرين من اهل السنة باسم هذا القسم الثانى من التصوف وقد شرحنا هذا فى اجزاء من المنار وسنفصله بعد تفصيلاً . وقد شن الغارة المتكلمون والفقهاء على اهل هذا القسم من المتصوفة وافتوا بكفرهم وساعدهم عليهم الامراء بالقتل والنفي وأتذكر انهم سلخوا جلود عدد كبير منهم فى مصر القاهرة فى يوم مشهود . وربما اخذ البرىء بجريرة الاثيم وقتل الصادق بذنب المارق

والحاصل ان الميزان الذى يعرف به الحق والباطل والراجح فى دين الله والمرجوح هو كتاب الله المعصوم والسنة النبوية الشريفة المبينة له وسيرة اهل الصدر الاول العاملين به على اكمل الوجوه . وكل احد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا المعصوم كما نقل عن الامام مالك رضى الله عنه

وقد طال الكلام وسنجيب على بقية الاسئلة التي تفيد الامة فى الجزء الآتى ان شاء الله تعالى

www.alukah.net إهداء من الفانوس السحرى والتمثيل

باب التربية والتعليم

﴿ التربية والتعليم بالفانوس السحري والتمثيل والمعارض (١) ﴾

(المكتوب ٢٩) من هيلانه الى اراسم فى ٤ فبراير سنة — ١٨٥

لقد وهمت ايها العزيز فى دعوى ان ذلك الهيكل الذى تمنيت اقامته للعلم لا يوجد ولن يوجد فانه موجود بالفعل فى سايدنهام (٢) على غاية القرب من لوندره واسمه القصر البلوري وفى نيتى ان ازوره أنا « واميل » متى امكنتنى الفرص وصار فى سن يؤهله لادراك ما فيه من مواد التعليم نعم انى لست على يقين من مطابقة طريقة بنائه لارائك تمام المطابقة ولكن أقل ما فيه على ما سمعته عنه ان القصد من انشائه موافق لقصدك . وقد يدهشك ان تعلم ان ليس للحكومة يد فى بناء هذا القصر العامي (وانما أصفه بذلك لان المقصود الاصلي من اقامته انما هو تربية طبقات العامة) فان كل ما فيه من البساتين الواسعة والبناء البلوري والآثار القديمة والتماثيل وجمل الاشياء المفيدة ملك لجماعة من المتساهمين وقد عهد برفعه الى مشاهير العلماء والصناع والاثريين فكانوا يباشرون بانفسهم افراغ المواد فى القوالب وتحصيل مثل الاشياء . ذلك لان الانكليز اذا قصدوا تحقيق غرض مفيد أو انشاء معهد جديد لمنفعة عامة اعتمدوا على انفسهم بسبب ما آتتهم ضروب الحرية ووسائل العمل الذاتية من قوة العزيمة وشدة البأس غير

(١) معرب من كتاب اميل القرن التاسع عشر (٢) سايدنهام قرية من قرى انكلترا واقعة على بعد ثمان كيلومترات من لوندرة بني فيها القصر البلورى للمعرض العام الذى اقيم في سنة ١٨٥١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

راجين من الحكومة مساعدة مالية ولا قولية لعلمهم ان العمر ينقضي دون الوصول الى ما يرجون فهم متى ارادوا أقاموا تماثيل لعظمائهم ورفعوا هيا كل لفكرة يبديها الواحد منهم .

اراك تشكو من عدم وجود معاهد للتمثيل عندنا خالصة للاطفال فاعلم ان لاطفال الانكليز واحداً منها ذلك انك في صبيحة عيد الميلاد تجد معظم تلك المعاهد كانها قد انفكت عن الاختصاص بالروايات الجدية والهزلية ولا يقبل فيها من الكبار الا من كان مولعاً بسماع الاساطير كاسطورة اهاب الحمار [1] واسطورة الاصبع فكل واحد منها يصح

---

(١) اسطورة اهاب الحمار هي من اساطير شارل برولت الذي سبق التنويه بذكره في المكتوب (٢٥) وملخصها ان ملكاً كانت له زوجة يحبها جداً ورزقت منه بنت فائقة في الجمال ثم مرضت وعند احتضارها استحلفته ان لا يتزوج الا بمن تكون اجمل منها فلم يجد في عقائل مملكته من تحقق فيها الشرط الا ابنته فافضى اليها بميله الى تزوجها فانكرت عليه الامر فصمم فاشتكت الى جنيتها فارشدتها الى ان تطلب منه حلة كالزمن في لونه فاستصنعها لها فاوعزت اليها بطلب اخرى كلون القمر فما كان اقرب من تقديمها لها ثم بثالثة كلون الشمس فكان ما طلبت وكان لابيها حمار يحبه كثيراً لانه كان يجد تحته كل يوم مقداراً وافراً من النقود فلما اعيت الحيلة تلك الاميرة وظنت ان لا خلاص لها امتلأ قلبها حزناً فاوحت اليها الجنية بان تطلب اهاب الحمار (جلده) فقدم لها بعد استغراب فزادها ذلك جزعاً فقالت لها الجنية كفى فهذا وقت خلاصك فالبسي اهاب الحمار واخرجي فانه لا يشعر بك احد وساتبعك بحليك وحللك اينما قصدت فخرجت في ذلك الاهاب وساحت في الارض فدخلت مملكة اخرى فاستخدمتها زوجة مزارع في رعاية الديكة وكنس معلف الخنازير لرفاهة حالتها وقذارتها فرآها ابن ملك تلك الجهة من خصاص كوخها وقد تعرت من اهاب الحمار ولبست حلة من حللها ففتن بها وذهب الى اهله مدنفاً سقيماً وحار

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ان يعنون بمعهد الرؤوس الشقر لان الاطفال فى شهرين او ثلاثة من السنة يكونون هم المتصرفين فى اختيار نوع الآلاهى العامة والمتمتعين بكل مافى المعاهد من المقاعد المخملة والموسيقى وضروب الغرور والفتنة ويؤكد لى الناس هنا ان كثيراً من تلك المشاهد يحصل فيه التمثيل مرتين فى اليوم احداهما بعد الظهر لمن يتعجل فى النوم من الاطفال الذين لا يقوون على السهر والثانية فى العشي للبافعين والآباء والامهات وللشيوخ الذين حفظوا للشباب فى ناحية من اذهانهم شعاعاً من ضيائه ولمعة من بهائه وينبغى على ذلك أن أول شرط يلزم تحقيقه فى النظارة ان يكونوا صبياناً او مستصبين والا فكيف يروقهم سماع ما يروى هنالك من اقاصيص الجن وما يمثل من الاضاحيك : نعم ان مواضيع تلك الألاهى البهجة هى فى الجملة غاية فى الابتذال وانك لتأسف على ما يضيع فى سبيل تربية الادراك بهذه الاماكن من نفقات الزينة والثياب وغيرها من عتار التمثيل لان ما يحصل فيها من تغيير المناظر قلما يفيد الا اثارة وجدان الاعجاب والدهشة ولكن ماأشد مايبديه الاطفال عندها من دلائل الفرح المنبعث عن السذاجة وما ابلغ ما يظهر من تشوفهم اليها واعظم ما يكون من بريق ابصارهم وحملقتها بسبب استغرابها والافتتان بها خصوصاً اذا جاء دور ذلك

الاطباء فى امره وقالوا انه لامرض به الا الفكر وبعد الحاح من والديه طاب ان الخادمة التى تلبس اهاب الحمار تصنع له قرصاً ففعلت ودست فيه خاتمها لانها تدفهت حقيقة الامر فلما تناول الخاتم فى فمه قال لوالديه اني اريد ان اتزوج بصاحبة هذا الخاتم فنودى فى المدينة بان أية فتاة يوافقها الخاتم الذى فى بيت الملك تكون زوجة لولى عهده وكانت نتيجة ذلك ان تزوجت به وعاشا فى نعيم ورغد. واسطورة الاصبع

تقدم تلخيصها فى هامش المكتوب ١٥ (راجع ص ٨١٤ مجلد ٣) .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المنظر المعروف المسمى منظر الانقلاب والتحول فلشد ما تخفق القلوب هنالك خفة ومرحاً ومهما كان في تلك المرائي من الابتذال فلا ينبغي ان يستخف بما يتجلى للاطفال فيها من تلك القصور المسحورة وامطار العسجد والشرر والانوار المشتملة على جميع مايرى في الفجر القطبي من الالوان المتباينة والجزر السعيدة (الجزائر الخالدات) والنساء العائشة في السحب وفي الاشجار والازهار وبالجملة لاتصح الاستهانة بتلك المخترعات الخيالية العامية التي تمثل في اضاحيك المناظر فانما طار بنا الخيال وان على اجنحة من الورق المقوى ولم يرفعنا الا قليلاً فانه يمكننا ساعات مما يبهظنا من اغلال العوائد والحاجات . تلك المناظر الغرارة لن تنفك ان تكون محبوبة للعامة والاطفال لانها تفتح جزءا من ابواب الكمال المطلق البالغ اقصى غاياته

لما رأيتني لا املك الآن الذهاب « باميل » الى القصر البلوري ولا الى معهد التمثيل عولت على الاستعانة بآلة يطاف بها هنا في المدن والقرى وهي الفانوس السحري وكأني بك تضحك من ذلك ولكن اي مانع يمنع من ان تكون تلك الآلة المستعملة لتحصيل اللذة والاعجاب من وسائل التعليم ايضاً فليس ذنباً للفانوس السحري انه قلما استعمل الا لتمثيل الصور المضحكة الغريبة في دارة مضيئة بل انه لا يكون الا مفيداً اذا قصد به الجد ولو ان العلماء تفضلوا على المصورين بارشادهم الى مايختارون من مواضيع العمل والى طريقة التصوير على الزجاج لادى الفريقان للاطفال فيما ارى فوائد وقد سمعت ان المتولين امر التربية في انكلترا سبقوا الى اتخاذ هذه الطريقة في بعض المدارس لتأدية شيء من معاني علم الفلك وتقويم البلدان والتاريخ الى عقول الناشئين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انت تعلم ان علماء الفلك قد رسموا صور الاجرام السماوية الكبرى وخططوا آثار ذوات الذنب والشهب والخسوف والكسوف او انتزعوا صورها بآلة التصوير (الفتوغراف) فلو اننا اردنا ان نجعل الفانوس السحري الذي هو الآن مشهد الاوهام والمغالطات مشهداً للحقائق ايضاً كفانا في ذلك ان ننسخ على زجاجة رسوم السماء وما فيها مصورة على الحالة الفطرية تصويراً مضبوطاً

اذا كان المراد تمثيل الارض في هذه الآلة فلست على يقين من صلاحيتها لتحصيل صور جميع ما فيها من سلاسل الجبال الكبرى ومجاري الانهار العظمى ومجاهل الصحارى المريعة وشكل السواحل الوعرة المغمورة بالمحيط ولا حيلة لنا في ذلك فعلينا ان نكتفي بمبلغ طاقتنا من تصويرها فيها . على ان الطفل يروقه نظر الاشياء تفضيلاً اكثر من النظر اليها جملة فهو اذا نظر الى صور الاقاليم وهيئاتها فانما يلتمس اثراً يريعه ويدهشه كصخرة غريبة الشكل او نبات اجنبي او حيوان عجيب او انسان مغاير لنا بلون جسمه

واما التاريخ فلا شك في صلاحية الفانوس السحري لتعليمه فانه يتأتى به احضار خيالات من يتحدث عنهم من الماضين فلا مانع من ان ترسم على صفحته صور الشجعان الغابرين بزيهم وبزتهم وصنوف ما وجد من الصور الغريبة كأبي الهول والثيران ذات الاجنحة وذات الرؤوس الانسانية واللحى السوداء والجنيات والآلهة وغيرها من الصور الخرافية لانها اذا خرجت من الليل فلا عجب ان تعود اليه

انا لسوء حظي لست عالمة ولا مصورة ولكني ارسم رسماً مناسباً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لحالتى وكنت ارى منك احياناً استحسان رسومي الكثيرة الالوان نم انى لا احسن طريقة التصوير على الزجاج فانها حرفة تتعلم وكمال سأفتخر بان يكون « اميل » هو صاحب الفضل عليّ فى كسبه واصعب علىّ فى ذلك فيما اري انما هو الحصول على مثل متقنة لانى اخال ان الواجب على المربى ان يكون دقيقاً فيما يعلمه الطفل واكره ان لا ابرز الاشياء لولدى فى صورها الصحيحة وقد وعدنى الدكتور وارنجتون وهو موافق لى فى كثير من افكاري ان ينتقي لى من لندره صوراً منتزعة بآلة التصوير (الفتوغراف) او رسوماً اخذت عن علماء الطبيعة وعلماء الآثار والسيّاح وانا بفضل معونته على امل من انشاء مشهدي الصغير عما قليل اه

تعليم العربية فى المدارس — تأخره فى تقدمه

أحسب الناس ان تقدم اللغة العربية بلغ من النجاح ان يمتحن فى فنونها مائتان وخمسون طالباً واربعة نفر فلايخيب منهم الا الاربعة والباقون نجحوا فى امتحانها وانها قد بلغت نصابها واسترجعت شبابها ؟ كلا ان الناس متعجبون من نتيجة الامتحان فى هذا العام لامعجبون ، وانهم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون ، واننا نشير الى الحقيقة بمجمل من القول

من المعلوم لاكثر الناس ان التلامذة لم يسألوا فى هذه السنة الا ثلاث مسائل سهلة جداً وكانوا يسألون فى كل عام عشرة مسائل دقيقة كالالغاز ربما لاتخطر فى بال عالم ولذلك كان الناس يشكون مع التلامذة من الافراط فى التشديد بالامتحان وكأن سكرتير المعارف المستر دنلوب اراد ان يزيل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شكواهم فافرط فى التساهل حتى جعل الشكوى اعم واكثر ورجال لجنة الامتحان مستسلمون لامره وارادتهم فانية فى ارادته

والمتبادر ان المنوط بهم امر الامتحان كانوا عازمين على جعل الامتحان فى هـذا العام كما كان فى العام الماضى لولا السكرتير . وان اول من خضع للامر مع علمه بعدم كفاية المسائل الثلاث هو الشيخ ذو المكانة الاولى فى اللجنة والذى كان يرجى ان يكون اعز انصار اللغة العربية . ويقال ان شاباً من اللجنة تربى تربية انكليزية عارض فى ذلك ودافع عن اللغة العربية اما حجة الشيخ فى امتثال الامر فهى ان صيغة الامر عند علماء الاصول حقيقة فى الوجوب مجاز فى غيره . واما حجة الشاب فهى ان هذا اجتهاد من السكرتير فى المصلحة وان تقرير مسائل الامتحان موكول الى اجتهاد اللجنة لانها اعرف بالمصلحة والمجتهد لا يقلد مجتهداً . وللشيخ فى دفع هـذا انه لابد من تنفيذ الامر على ظاهره لان الاجتهاد لا يصح ان يعارض النص كما هو مبين فى علم الاصول . وللشاب ان يقول فى دفع الدفع انه يمكننا التوفيق بين امر السكرتير وبين المصلحة بأن نضع ثلاث مسائل جديدة تتضمن العشر وبذلك نسلم من المخالفة ومن الغش فى العمل . وينطبق قوله هذا على قواعد الاصول ، لقولهم بتأويل نصوص الكتاب والسنة اذا خالفت المعقول ، الا ان يعود الشيخ فيدعى ان اجتهاده موافق لاجتهاد السكرتير فى الاكتفاء بثلاث مسائل بديهية عن عشرة عويصة . ولكن للشاب الحجة عليه بأنه كان مقرراً للعشر فى كل عام . فليس الانقلاب الآن عن اجتهاد وانما هو عن استسلام

ويظهر ان سائر الاعضاء كانوا منقادين مع ذلك الشيخ الكبير الى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العمل بظاهر الامر من غير بحث فى موافقته للمصلحة التى انيطت بهم كأنه أمر منزل ونص قاطع لا يحتمل التأويل ولو لا ذلك لم ينفذ ولكنه نفذ كما يعلم من جميع التلامذة . وهذا الاستسلام مبنى على انهم يعتقدون ان السكرتير أمر بما أمر وهو عالم بأنه خلاف المصلحة فهم فى الحقيقة خاضعون لما يظنون انه يهواه ويميل اليه . ولو كانوا يعتقدون انه يقصد من الامر بتيسير الامتحان المصلحة ولكنه بالغ فى التيسير حتى صار مفسدة لراجعوه وبينوا له الحد الوسط . ولو فعلوا ذلك بالاتفاق لما خالفهم وان كان يقصد اماتة اللغة العربية كما يقول الناس

« التربية الانكليزية »

سيقول الذين يسيؤن الظن بالانكليز عامة وبالمستر دنلوب خاصة ويتهمونهم بالسعي فى اماتة اللغة العربية لانها لغة الدين الاسلامي : ما بال هذا الشاب هو الذى تصدى للمدافعة عن اللغة العربية مع انه لا يتميز على الاستاذ الا بكونه تربى وتعلم فى البلاد الانكليزية والانكليز لا يعلمون المصريين فى بلادهم الا ليستعينوا بهم على تنفيذ مقاصدهم فى مصر ؟ وللانكليز ان يجيبوا هؤلاء بقولهم : ان الذى نعلمه ونربيه لا يخلو من احد حالين اما ان يتعلم منا كيف يخدم بلاده ويعلي شأن أمته لاننا نحب ذلك او لا نعارض فيه واما ان يأخذ عنا من الاستقلال فى الفكر وفى الارادة ما يمكنه ان يجاهدنا به فى ميدان الحياة فاذن لا نجاح لكم الا بالتربية الانكليزية لا سيما اذا ترشح لها الخيار منكم

« كلتا اللورد كرومر وحكمدار الهند »

اما الدليل على ترجيح الشطر الاول فهو ما قاله القيكونت كرومر

وكيل دولتنا عندكم فى تقريره عن مصر وما قاله حكمدار الهند فى خطبته فى كلية عليكدة . اما الاول فقد قال بعد الحث على التعليم الصناعي وتعليم البنات وموافقة شورى القوانين على توسيع نطاق المدارس الاهلية ما ترجمته :

« من الشواذ الكثيرة فى هذا القطر بل من اغربها ان الشبان المصريين يهتمون الآن بتعلم اللغة الانكليزية اكثر مما يهتم الانكليز بتعليمهم اياها . وسبب ذلك واضح وهو ان المصريين عموماً يحسبون ان حصولهم على وظائف الحكومة يكون اسهل عليهم وهم يعرفون الانكليزية منه وهم يجهلونها . والمرجح انهم مصيبون فى ذلك الى حد محدود . اما الانكليز الذين يعرفون احوال المصريين وما يحتاجون اليه فينظرون الى هذه المسئلة من وجه تعليمي ولا رغبة لهم فى جعل البلاد انكليزية بل يودون الاقتصار من تعليم الانكليزية والفرنساوية على ما تمس اليه الحاجة ويفيد المصريين أنفسهم . ولا يضلهم الرأى السطحي وهو ان درس الفرنساوية او الانكليزية يتضمن ايجاد الاميال السياسية لان هذا الرأي خطأ فى الغالب على ما أرى »

الى ان قال

«ويظهر من آخر احصاء ان الذين يتعلمون لغات اجنبية فى المدارس التى تحت ادارة نظارة المعارف العمومية هم ٥٨٣٥ ذكوراً واناثاً ومن هؤلاء ٤٩٨٤ اى ٨٥ فى المائة يتعلمون اللغة الانكليزية ولا بد من تعليم هؤلاء بلغة اجنبية ومن اسباب ذلك انه ليس فى العربية كتب للتعليم فى العلوم التى يتعلمها التلامذة ولكن التوسع فيه وراء هذا الحد غير محمود

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العاقبة . ولذلك احذر بكل جهدي من جعل اللغات الاجنبية مما يعلم في الكتاتيب ويجب ان يبقى التعليم الآن باللغة العربية وحدها . وخلاصة القول في هذا الموضوع ان اجتهاد الذين يهمهم أمر التعليم في هذا القطر يجب ان يكون مصروفاً بنوع خاص الى اصلاح التعليم الصناعي وتوسيع نطاقه والى تعليم البنات وترقية التعليم الابتدائي بواسطة الكتاتيب حتى يرتفع مقياس المعرفة في البلاد كلها اذ لا يخفى ان الاحصاء الاخير دل على ٥ر٨٩ في المائة من ذكور المصريين و٧ر٩٩ في المائة من اناثهم لا يعرفون القراءة والكتابة » اهـ

واما الثاني فقد قال في خطابه : وها نحن أولاء قد فتحنا باب القرن العشرين وكيفما تكون النتائج والتقلبات التي تظهر في هذا القرن فلا خلاف في أنه سيكون مملوءاً بالحركة العلمية مفعماً بأنوار العلوم والمعارف ومثل الذي يوجد في هذا القرن بغير تربية مثل الفارس الاعزل في القرون الوسطى التي لم يكن للانسان فيها انفع من سلاحه مدافعاً عن حقوقه أو حافظاً لكيان وجوده ولذلك أرى ان احسن سياسة ترقى بالامة المحكومة الى طريق الفلاح هي سياسة تساعدها على حفظ كيانها بين تيار المنافسات وازدحام الاقدام في عالم المباراة . ولهذا ينشرح صدر كل حاكم في الهند حينما يرى المسلمين فيها من سنيين وشيعيين على حد سواء آخذين بأهداب العمل في سبيل التعليم والتربية وانهم جاوزوا نقطة الابتداء في وقت تقدمهم به منافسوهم في حلبة هذا السباق . نعم يمكن للمسلمين ان يسابقوا غيرهم اذا هم تعلموا كيف يسابقون . وهو ما عرفوه مرة قبل هذا الوقت في ايام كان فيها للمسلمين السطوة والسلطان وكان قضاتهم يحكمون بالعدل بين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الناس وفلاسفتهم وأئمتهم يؤلفون الكتب النفيسة . الا ان طريقة السباق القديمة اصبحت اليوم متأخرة ويحتاج الانسان الى حركة اخف وانشط من الاولى فيلزمكم ان تذهبوا الى المدارس فتلقنوا عن الاساتذة الماهرين فى الصناعة الحديثة كيف تكون خفة الاقدام ودقة السيقان اللازمة للمسابقة فى مستقبل الايام واني اعتقد بناء على ذلك ان المرحوم السير سيد احمد خان ومن ساعدوه فى هذه النهضة لم يبرهنوا على صدق وطنيتهم وحميتهم فقط بل برهنوا ايضاً على انهم نظروا نظرة سياسية دقيقة وعرفوا ان الواسطة الوحيدة والعلاج الناجع الذي يعيد للمسلمين شيئاً من سابق مجدهم هو العلم والتربية ولو كنت اميراً من امراء المسلمين او غنياً من اغنيائهم لما اضعت خمس دقائق تمر علىّ لا افكر بها فى اية وسيلة افيد بها ابناء ملتي وارقى بواسطتها اخواني المسلمين فى هذه الديار . وكنت احصر مساعيّ فى التعليم والتربية اجل فى التعليم والتربية لا سواهما

وكون هذه هى خطتكم هو مما لا مشاحة فيه كما سمعت اليوم من الخطبة التى تليت امامى . فأنتم تقولون فيها انه لا امل لكم فى اعادة شىء من ماضى مجدكم وعزكم الا بضم العلوم العصرية الى علومكم . حقاً لقد اصبتم كبد الحقيقة تمسكوا بدينكم الذى اجتمعت فيه اصول الرفعة والشرف ومنابع الحقيقة واجعلوا ذلك اساساً لتربيتكم وتعليمكم لان التربية بغير اساس ديني كبنيان القصور على الهواء وان كان اولاد المدارس الابتدائية والعالية صغار السن لا يدركون معنى هذه الحقيقة . هكذا تمسكوا بهذا المبدأ وهذه القواعد حتى تجنوا ثمرة شجرة التربية التي كانت نامية احسن نمو فى الحدائق الشرقية والآن صارت تنمو فى الغربية اه المراد منه ومما تقدم

يعلم ان جلّ بلاء المسلمين من انفسهم
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آثار علمية

« هدايا وتقاريظ »

(الحسبة فى الاسلام او — وظيفة الحكومة الاسلامية)

كان شيخ الاسلام ابو العباس احمد بن تيمية (رحمه الله تعالى) مجدد علم الدين ومحيي السنة في اول القرن الثامن للهجرة الشريفة . وكان قد بعد عهد المسلمين بأخذ احكام دينهم من الكتاب والسنة كما كان سلفهم فى القرون الثلاثة فاراد الرجوع بهم الى ذلك فالف فى اهم المسائل كتباً ورسائل يستمد فيها من ذلك الينبوع الاعظم ويذكر احياناً خلاف الائمة المشهورين . ومن اعظم تصانيفه فائدة رسالة الحسبة أي الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى رسالة تبلغ زهاء ١٠٠ صفحة وقد طبعت فى مطبعة المؤيد على اجود ورق فينبغى ان يطلع على هذه الرسالة كل مسلم لان ركن الحسبة هو الركن الذى يحفظ سائر الاركان الاسلامية وإهمال الامر والنهى هو الذى اضاع الدين ولو اقيم لقام عليه بناؤه الى يوم الدين

(معارج الوصول . الى معرفة ان اصول الدين وفروعه قد بينها الرسول)

وهذه الرسالة للامام ابن تيمية ايضاً وهى من احسن ما كتبه ومن احسن ما خدم به الاسلام وقد تعرض فيها للرد على الذين حكموا اهواءهم فى الدين من الفلاسفة وبعض المتصوفة وغيرهم من الفرق الذين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يرضهم اخذ الدين ببساطته التى كان عليها فى عهد السلف الصالح رضى الله عنهم . كما اقام الحجة على من لم يرض الاسلام ديناً بالمرة فنحث كل مسلم قارئ على مطالعتها

(المظالم المشتركة) طبعت رسالة المعارج المنوّه بها آنفاً فى مطبعة المؤيد وطبع معها فى الذيل رسالة المظالم المشتركة اي التى تطالب من الشركاء وقد بين حكمها وكيفية مراعاة العدل فيها بالنسبة للطالب والمطلوب ولا يستغني المتدين المبتلى بهذه المظالم من الاطلاع على هذه الرسالة . والمشتغلون بالعلم الاسلامي احوج الناس الى الوقوف عليها . جزى الله مؤلف هذه الرسائل وناشرها خيراً

(كتاب الاشارة . الى محاسن التجارة . ومعرفة جيد الاعراض ورديها)
(وغشوش المدلسين فيها)

من يطلع على اسم الكتاب او يسمع به يظن قبل العلم بمؤلفه انه من وضع المتأخرين لان جهل الاكثرين منا بتاريخ سلفنا يوهمهم انه لم يكن للتجارة عند السلف من الشأن ما يحملهم على التأليف فيها ولكن الكتاب من تأليف الشيخ ابى الفضل جعفر بن على الدمشقى من علماء القرون المتوسطة . وقد وجد فى احد نسخ الكتاب انه تم فى سنة ٥٧٠ والظاهر ان هذا تاريخ تأليفه لا نسخه . وفى الكتاب فوائد اقتصادية نافعة ويعرف منه تاريخ التجارة وحالها فى تلك الايام فنحث القراء على مطالعته

(السياسة الشرعية . فى حقوق الراعى وسعادة الرعية)

كتاب وجيز الفه بالتركية العلامة الشهير جمال الدين افندى قاضي مصر السابق تعمده الله برحمته ونشره بالعربية باذن الورثة الاديب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الملقب « بأصمعي » والكتاب مشتمل على مسائل نافعة ومباحث مفيدة في مشروعية السياسة واداء الامانة واختيار العمال والاستشارة والقضاء والامارات والمصالح المرسلة . ويتلو هذا فصل في الحقوق العمومية يتكلم فيه عن الحبس والعقوبات والعمل بالقرائن وبالفراسة واقسام المتهمين وعن الرشوة والسعاية . ويتكلم في فصل آخر عن شروط الامامة وفي فصل آخر عن المشورة وتنظيمات اوربا وفي فصل آخر عن العدل والظلم وفي فصل آخر عن الولايات والوزارات والحرب . وفي فصل آخر عن الفضائل والرذائل . وفي فصل آخر عن تأثير الدين في الاخلاق . ويلي ذلك فصول في الوعظ وفي الانسان وفي السياسة وفي طبائع البشر وفي اسباب ضعف الحكومات الاسلامية وانحطاطها وفي الخلفاء الامويين والعباسيين والفاطميين وفصل فيما انتج اختلاف العلماء على الامة وعدم اجتماعهم على مصلحتها وما فيه نجاحها

ومما نذكره مع الشكر لله تعالى ثم للمؤلف ان في الكتاب اقتباساً كثيراً من مجلتنا « المنار » لا سيما في هذه الفصول الاخيرة فان معظمها مأخوذ بحذافيره من مجلد السنة الاولى . وحسبنا حجة على المقلدين والموسوسين ان مثل هذا العالم الكبير موافق لنا في رأينا لا سيما في العلماء واختلافهم وعدم تكاتفهم على ما ينفع الملة والدين . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة دار الترقي العامرة وثمنه خمسة غروش اميرية وهو ثمن بخس ويباع في مكتبة الترقي ومكتبة الشعب في شارع محمد علي وغيرهما

(فصل الخطاب في المرأة والحجاب) مصنف جديد ظهر في هذه الايام لحضرة الفاضل محمد طلعت بك حرب : وضعه للرد على كتاب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(المرأة الجديدة) كما الف كتاب « تربية المرأة والحجاب » للرد على كتاب تحرير المرأة . وقد سلك فى هذا المصنف الجديد مسلك الإلزام فعرب بعض ما كان كتبه الفاضل قاسم بك امين فى المدافعة عن الحجاب رداً على الدوق داركور الفرنسوى . واحتج من جهة الدين برسالة « الاحتجاب » التي الفها قاضى مصر السابق ثم بجملة من شرح نهج البلاغة لصاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ثم بنبذ من ثلاثة اجزاء من المنار

وبعد ان ذكر حكم المنار بغلو قاسم بك امين فى مسئلة الحجاب واعتذاره عنه بأنه افراط فى مقابلة التفريط فى التشدد بالحجاب حتى جعل مانعاً من العلم وان غرضه الرجوع الى الاعتدال وقوله (اى المنار) : فاذا انتهت هذه المناقشات بانصراف همة الامة الى تربية وتعليم مع بقاء الحجاب تتقدم الى الأمام — قال : « هذا ماقاله حضرة صاحب المنار وهو احسن اعتذار يقدم من صديق لصديقه بما ربما لم يكن فى الحسبان او يخطر له على بال . فاداعية التحير والاختباط إذن والمسئلة بسيطة قد حلها أئمة الدين والمفترفون من بحرهم — حتى الذين يقدس رأيهم محرر المرأة — اعظم حل واسهله »

ثم اورد من مؤلف قاسم بك في الرد على الدوق داركور نبذاً فى فضائل الحجاب ومحاسنه وضرر التبرج والتهتك لم يأت بمثلها احد ممن رد على كتابيه وفيها من التأثير فى التنفير عما عليه نساء الافرنج والترغيب فى الصيانة والعفاف المقرونين بالحجاب مالم يوجد ما يقاربه فى كلام مناقشيه . فدلنا هذا على ان قاسماً من اعلم الناس بمنافع الحجاب الشرعي وبمضار الغلو فيه وانه يخاطب كل قوم غلوا فى طرف بالمبالغة فى الطرف الآخر . فلما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رأى ان الافرنج يذمون الاسلام والمسلمين لاجل الحجاب الف كتاباً في منافعه بلغتهم القمهم فيه الحجر ولم يشرح فيه ما يعتقده من مبالغة المسلمين فيه وجعلهم الجهل ضربة لازب على النساء لاجله ولكنه بين هذا وبالغ فيه بل تعالى للمسلمين ولم يذكر لهم شيئاً من منافع الحجاب التي يعلمها ليرجعهم الى الحد الوسط وهو الحجاب الشرعي الذي يقطع السبيل على الفساق الذين يجنون على العفة في الخلوات ويهتكون حرمة الصيانة من وراء الاستار ولا يقطع على النساء طريق التربية والتعليم اللذين يصلن بهما الى الكمال الممكن لهن والاستقلال في شؤون الحياة . وبهذا تبين ان اعتذارنا بل بياننا قد اصاب كبد الحقيقة

والقول الفصل انه يجب العناية بتربية النساء وتعليمهن واننا الى التربية النفسية احوج وان افضل سجايا النفس — لا سيما في النساء — العفة والصيانة وانه لا يتم ذلك الا بالتربية الدينية وان التربية قوامها وملاكها القدوة بالمعاشرة فاذا كان من يراد تربيته يعاشر فاسدي الآداب والاخلاق يتربى على مثل ما هم عليه وان اكثر بلادنا مبتلون بهذا الفساد نساء ورجالاً . والنتيجة الصحيحة انه يجب حجب البنات اللائي يراد تربيتهن عن النساء بقدر الامكان فما بالك بالرجال ومتى عمت التربية الصحيحة او غلبت يكون لها حكم آخر فليعمل لكل وقت ما يصلح له العاملون « كبُرَ مقتاً عندَ الله أن تقولوا ما لا تفعلون »

(رحلة الصيف) تشرف بالسفر مع حاشية الجناب العالي الخديوي الى اوروبا في العام الماضي صديقنا الاديب الفاضل عزتلو لبيب بك البتنوني وقد زار كثيراً من العواصم الشهيرة وطاف كثيراً من المعاهد وشاهد ابدع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المشاهد وكتب فيما رآه واختبره بنفسه رحلة مطولة أودعها من فنون الفوائد وصنوف الاعتبار ولطائف الفكاهات ما تصبو اليه كل نفس ويود الاطلاع عليه السياسي والاجتماعي والعالم والأديب والمؤرخ وطبعها طبعاً متقناً على ورق جيد واهدى نسخها الى فقراء المسلمين بتقديمها الى الجمعية الخيرية الاسلامية فنحث اهل الفضل على مطالعتها لما فيها من الفوائد التي يحن اليها كل ذي فضل ونحث اهل الغيرة الاسلامية على اقتنائها لما في ذلك من المساعدة على البر والاحسان وهي تباع في مكتبة الجمعية في قبة الغوري وفي جميع المكاتب الشهيرة وستحف القراء ببعض فوائدها في جزء آخر

« نوادر البخلاء »

ذكّرتنا مقالة السخاء والبخل بأن نورد بعض نوادر البخلاء على سبيل الفكاهة والعبرة فنقول

كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة بيض [1] فاكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوّى فلما جهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما اكلت فقال : هَاهْ ! اتقيأ طباهجة بيض ؟ الموت ولا ذلك * واقبل أعرابيٌ يطاب رجلاً وبين يديه تين فنطى التين بكسائه فجلس الاعرابيّ فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئاً

(١) الطباهجة اللحم يجعل قطعاً ويشوى في الطنجير بايّ دهن فاذا طبخ في الماء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال نعم فقرأ « والزيتون وطور سنين » فقال واين التين ؛ قال هو تحت كسائك * ودعا بعضهم اخاله ولم يطعمه شيئاً فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال بحياتي اي صوتٍ تشتهي ان اسمعك ؛ قال صوت المِقْلَى[1] * ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلاً قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه وقال له قائل صف مأدبته ؛ فقال هي . فِتْر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال : الكرام الكاتبون قال : فما يأكل معه احد قال : بلى — الذباب فقال سوأتك بدت وانت خاص به وثوبك مخرق قال : أنا والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتاً من بغداد الى النوبة مملوءًا ابراً ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه ابرة ويسئلونه إعارتهم اياها ليخيطوا بها قميص يوسف الذي قد من دُبر ما فعل

ويقال كان مروان بن أبي حفصة[2] لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم اليه[3] فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له ترك لا تأكل الا الرؤس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك ؛ قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان يأكل منه إن مسَّ عيناً او أذناً او خداً وقفت على ذلك وآكل منه الوانا عينه لوناً وأذنه لوناً ولسانه لوناً وغلصمته[4] لوناً ودماغه لوناً واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق . وخرج

(١) المقلى معروفة ويريد بصوتها تلي اللحم لاطعامه (٢) هو الذي ذكرناه في مقالة السخاء والبخل وسيأتي ذكر رده اللحم قريباً (٣) قرم اشتدت شهوته الى اكل اللحم (٤) الغلصمة رأس الحلقوم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يوماً يريد الخليفة المهدى فقالت له امرأة من اهله : ما لى عليك ان رجعت بالجائزة ؟ فقال ان اعطيت مائة الف اعطيتك دهماً فاعطى ستين ألفاً فاعطاها اربعة دوانق . واشترى مرة لحماً بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف * وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً[1] فيأبى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسألة فقول له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت احداً اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعونى على كسرة وملح فلا والله ما زادنى عليهما

الأخبار التاريخية

﴿ جمعية ندوة العلماء فى الهند ﴾

حيا الله تعالى علماء الهند أحسن تحية ، وأيد بسعيهم هذه الملة الاسلامية، ووفق سائر علماء المسلمين لمثل ماوفقهم اليه من تأليف الجمعيات للبحث فى شؤن المسلمين ، وتلافى مانزل بهم من البلاء المبين ، فقد سبقوا للدخول فى كثير من الجمعيات الاسلامية ثم الفوا جمعية خاصة بهم سموها

(١) كانت هذه الكلمة تقال في الدعوة الى الطعام ويذكر بدلها الآن (الشوربا) او القهوة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« ندوة العلماء » وقد احتفلت فى شهر رجب الماضى احتفالها السنوى فى مدينة لاهور ومن اهم ما بحثت فيه تعيين جمعية مخصوصة لتأليف كتب نافعة فى علم الموجودات على الطريقة الحديثة وفى الرد على فلاسفة هذا العصر فيما يخالفون فيه الاسلام . وقدارسل الينا احدالعلماء الفضلاء كراسة مطبوعة باللغة الاوردية فى شؤن الاحتفال لم نظفر بمن يترجمها لنا

وسنذكر فى الجزء الآتى خطبة لاحد اصدقائنا من علماء بمبئ تليت فى الاحتفال

« الطاعون فى الكاب والمسلمون »

كتب الينا من الكاب ان الطاعون قد فتك بالناس فتكاً ذريعاً لا سيما فى الجهة الجنوبية وان رجال الصحة من الانكليز قد اساؤا معاملة المسلمين وصاروا يدمرون على بيوتهم لأخذ المرضى بالقوة ويأخذون عن كل مريض ٣٠ او ٤٠ جنيهاً ويحرقون جميع متاع البيت حتى الكراسى ويمنعونهم من تجهيز الموتى ودفنهم على الطريقة الاسلامية . وقد ارسل الينا قطعة من جريدة انكليزية ملخص مافيها انه اجتمعت لجنة من المسلمين والانكليز للبحث فى ذلك رئيسها المسلم الحاج محمد طالب وان اللجنة اقرت الحكومة الانكليزية على عملها بأنه غير مخالف للدين . ولكن المسلمين هناك ناقمون على محمد طالب هذا وكتب الينا انه احتج على جواز شق بطون المسلمين بأن جبريل شق بطن النبي صلى الله عليه وسلم فان كان هذا صحيحاً فالرجل مجنون لا يعول على قوله . والظاهر ان سبب الشكوى هو سوء معاملة صغار المأمورين للمسلمين فعسى ان يلتفت كبارهم الى تلافى ذلك

سكتنا عن « شبهات المسيحيين » لان السائل جاءنا واقتنعناه بالقول

الجزء الثامن (المجلد الرابع)

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة ربيع الاول سنة ١٣١٩ — ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠١)

القسم الديني

« المحاورة الثامنة بين المصلح والمقلد — الاجتهاد والوحدة الاسلامية »

علمنا من آخر المحاورة السابعة ان الشيخ المقلد ذهب قبل تمام الحديث لموعد كان بينه وبين آخر وقال انه يعود في الغد ولكنه ابطأ وجاء بعد أيام يصحبه شيخ آخر فاعتذر عن الابطاء وقال

(المقلد) : ان هذا الاستاذ — وذكر اسمه — صديقي منذ أيام المجاورة في الازهر وهو قاضي بلدنا الشرعي الآن ولما جئت البلد في فرصة العيد ذكرت له ما دار بيننا فتمنى لو كان في القاهرة وشاركنا في المناظرة والبحث . وقد حضر في هذه الايام باجازة فجئت به عالما أنك ستسر بمعرفته . ولا أقصد ان يساعدني عليك لاحتمال ان يوافقك فانه حر في فكره ورأيه موافقاً لك في بعض ما نقلته له عنك من مباحث الجهل والاستدلال بالحروف والاشارات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(المصلح) : أهلاً وسهلاً لقد شرفنا الاستاذ — وصافحه ثانياً — واني أحب ان يساعدنا فى هذه المذاكرة على تحقيق الحق الذى هو ضالتنا المنشودة وليس لاحدٍ منا حظ دنيوي فى رأيه يخاف فواته اذا ظهر له بطلان الرأى على ان المجتهد الذى يتبع الدليل أينما ظهر ويأخذ الحكمة من حيث وجدها لا يزداد بالمباحثة ومراجعة المناظرين الا نوراً على نور . واما المقلد الذى يجني دائماً على نور الفطرة الالهية التي من مقتضاها النظر والفكر والاستدلال ويحاول اطفاءه بما يلقيه عليه من رماد التقليد تعظيماً لاسماء من ينسب اليهم ذلك الرماد فهو الذى يخاف المناظرين ويفرق من المباحثين لانهم يمدون نور الفطرة بنور البرهان فتتضاعف الانوار حتى يعشيه تألقها ويكاد يخطف بصره شعاعها ويرى نفسه فى عجز عن اطفائها وتتولاه الحيرة وتحيط به الغمة وكيف حال من فقد السكينة والاطمئنان وجعل خصمه السنة والقرآن

(المقلد) : دعنا من التعريض والتلويح ، بل من هذا التشنيع الصريح ، فها أنا ذا اناظرك بالدليل ، لا بالقال والقيل ، قررت ان الواجب على المسلمين بالنسبة للاحكام العملية هو الاخذ بما اجمع عليه اهل الاسلام وانهم على التخيير فيما اختلف فيه يعمل كل احد بما يرجح عنده الخ فما تقول فيمن عرض له شيء من ذلك وهو عامّي لا يعرف الاقوال فيتخير فيها ألا يجب عليه ان يسأل العلماء ويأخذ باقوالهم ؟ سكتّ عن هذه المسئلة لانها حجة عليك فى جواز التقليد

(المصلح) : يمكن لمثل هذا العامي ان يتبع سبيل عامة أهل الصدر الاول فقد كان من تعرض له مسئلة لا يعرف حكم الله فيها يسأل من يظن

ان عنده فيها شيئاً من كتاب أو سنة لانه يسأله عن رأيه الشخصي ويأخذ به من غير معرفة دليله فيكون مقلداً . ومثل هذا السؤال كان يقع من الخاصة ايضاً والمسؤل فيه راو او منبهٌ على مأخذ الحكم ووجه استنباطه ولو كان كل سائل مقلداً وكل مسؤل اماماً متبعاً لذاته لكان كل مجتهد مقلداً وكثير من الجاهلين أئمة ولا يقول بهذا احد

(الزائر أو المقلد الثاني أو المناظر الثالث) : على هذا يكون استدلال الاصوليين بقوله تعالى « فاسألوا هل الذكر ان كنتم لاتعلمون » على وجوب التقليد على العاجز عن الاجتهاد غير سديد

(المصلح) : لاشك انه استدلال عقيم لوجوه (منها) ان السبب الخاص الذي نزلت فيه الآية الكريمة لايصح فيه التقليد فتكون امرا به وانما هي ازالة شبهة بالتنبيه الى امر مقرر عندهم وذلك ان مشركي العرب كانوا يقولون ما قص الله عنهم بقوله « انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين » وقوله « لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم » اي لاننا ازكى فطرة واذكى فهماً واقوى عزيمة . فلما نزل عليهم الكتاب كان من شبههم على من نزل عليه صلى الله عليه وسلم انه بشر يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وانه رجل مثلهم والايات الحاكية هذا عنهم معروفة فاجابهم عن هذه الشبهة بقوله تعالى : « وما ارسلنا قبلك الا رجالاً يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون» يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب هل كان الانبياء ملائكة ام رجالاً من البشر . وكون الانبياء رجالاً امر مجمع عليه عند اهل الكتاب ومنقول بالتواتر حتى عند غيرهم فالسؤال عنه ليس أخذا برأي من غير دليل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيكون تقليداً . و (منها) ان هذه المسئلة اعتقادية لاعملية وانتم لاتقولون بوجوب التقليد فى اصول الايمان لان المقلد لايكون موقناً ومن لا يقين له لاايمان له لان الظن لايغنى من الحق شيئاً فى هذا المقام . ولوكان الآخذ بقول غيره فى عقائد دينه واصوله معذوراً عند الله تعالى لكان جميع اهل الاديان معذورين وناجين ولما وجب النظر فى دعوة نبى من الانبياء الاعلى المجتهدين . فاذا ظهر النبي فى طور لجأت فيه الامة كلها الى التقليد كما تحكمون انتم وفقهاؤكم على هذه الامة الاسلامية تكون الامة كلها معذورة عند الله تعالى فى رفض دعوته وعدم النظر فيها وهل يقول بهذا الا مجنون

(المقلد) : انى سلمت لك من قبل ان التقليد فى العقائد غير جائز

(المصلح) : وانا بينت لك ان فهم الاحكام اسهل من فهم العقائد

(الثالث) : ان فرقاً بين المقلد فى الكفر وبين المقلد فى الحق فالثانى يعذره الله تعالى لانه وافق الحق دون الاول

(المصلح) : ان الله تعالى هو الحكم العدل القائم بالقسط فاذا امر بمقلدي الوثنيين مثلاً الى النار وبمقلدي المسلمين الى الجنة وسأل الوثنيون مساواتهم بامثالهم من مقلدى المسلمين لان كلاً منهم غير مكلف بالنظر لمعرفة الحق الا يكون طلبهم هذا عادلاً يتنزه الله تعالى عن منعهم اياه ؟

(الثالث) : انه تعالى « لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون »

(المصلح) : معنى الآية الكريمة انه ليس لاحد سلطان على الله تعالى فيحاسبه على افعاله بل هو صاحب السلطان الاكبر القائم على كل نفس بما كسبت . وليس معناها انه لا يعدل بين عباده فيما هم فيه سواء .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما انبأنا الله تعالى بتبرؤ الاتباع من المتبوعين والمرؤسين من الرؤساء في يوم القيامة الا ليكون ذلك عبرة لنا وآية على انه لا يعذر احداً باتباع من لم يأمره باتباعه . والآيات في هذا كثيرة كقوله تعالى : « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب . وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار » والايات في هذا المعنى كثيرة

(الثالث) : اتقول إن هذه الملايين من المسلمين المقلدين خالدون في النار وانهم كالوثنيين سواء

(المصلح) : لا اقول هذا ولكنني اقول ان دعوة الاسلام لم تبلغهم كاملة فيجب تبليغهم اياها بالقرآن الكريم الذي بلغ به النبي صلى الله عليه وسلم من قبلهم من اولئك السلف الكرام ومن اهتدى بهديهم الذين شادوا لنا ذلك المجد الكبير بارشاد القرآن واضعناه بالاعراض عن القرآن احتجاجاً بتقليد فلان وفلان الذين يتبرؤن منا يوم القيامة قائل كلٌ منهم كما يقول عيسى ابن مريم عليه السلام « ماقلت لهم الا ما امرتني به » وسأورد بعض ما يؤثر عنهم في النهي عن الاخذ بقولهم حتى في الفروع من غير معرفة دليلهم والاقتناع به وعن تقديم كلامهم على الحديث النبوي بله القرآن العظيم وما يؤثر ايضاً عن اكابر العلماء الاعلام من بعدهم وارجو ان يكون في ذلك مقنع لكم فانكم ألفتم الاخذ بكلام الناس دون كلام الله ورسوله

(الثالث) : ونحن يمكننا ان نورد لك من كلامهم بل ما نقل فيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاجماع ما يقتضى القول بالتقليد وهو منع التلفيق فان التلفيق لازم للتقليد وقد نقل فى الدر المختار الاجماع على بطلانه فاورد لنا قولاً بالاجماع على منع التقليد فى الفروع

(المقلد الثالث) : انه لم يتم كلامه الاول فيما يجب الاخذ به لاجل الوحدة الاسلامية فقد بقى عليه الكلام فى قسم المعاملات الدنيوية والاحكام القضائية وانما مناقشتنا معه الآن فى العبادات وان فى كلامه قوة والحق يقال ولكنه يحتمل النقض والمعارضة والمصيبة فينا اننا لم يسبق لنا بحث كثير فى هذه المواضيع لنستحضر النصوص فيها وما كنت اظن ان مثله يشتغل بهذه المسائل فقد حضرت مجلساً ضم جماعة من اكابر مشايخنا وذكر فيه الذين يتكلمون فى الاصلاح فرأيتهم متفقين على ان الذين يتكلمون فى الاصلاح كلهم جاهلون بالدين وغير مطلعين على علومه ولا متمسكين باعماله . ولولا انى اختبرت هذا الشباب والفيته متمسكاً بالدين اشد التمسك محافظاً على الصلوات اتم المحافظة لما جاريته وقصدت سبر غوره ولما احتملت منه ما احتملت من التهكم بالمقلدين والازراء بهم تلويحاً وتصريحاً مع انني اعلم انه يعتدنى منهم . ولكننى استغرب كيف لم يهتد احد من علماء الملة الى هذا الرأي — ازالة الخلاف بالاخذ بالقرآن والسنة العملية المتفق عليها — فى كل هذه القرون فهل علم صاحبنا ما جهله العلماء بعد حدوث المذاهب وهو زمن يزيد على ألف سنة

(المصلح) : استحي ان اعود الى التشنيع على التقليد بعد الذى ذكرت من التبرم من ذلك وان كنت اشاهد مصائبه تترشح من كل كلمة يقولها المقلد الذى بطات ثقته بفهمه وعقله وما احب ان اعتدك مقلدا بحتاً بعد ما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عاهدني على الاخذ بالدليل . كيف صح لك الحكم بانه لم يقل احد من علماء الامة بوجوب ازالة الخلاف من المسلمين وارجاعهم الى ما يرشد اليه القرآن من الوحدة والاخذ بالمتفق عليه وهل استقريت كل ما قاله العلماء الاعلام في كل فن من الفنون ؟ إن هذا الحكم شيوخك بان جميع المتكلمين بُعَدَاء عن الدين علماً وعملاً

هذا حجة الاسلام وعلم الاعلام الامام الغزالي كان اعلم علماء التقليد واقواهم عارضة في الدفاع عن مذهب الشافعي وله في الخلاف مصنفات وبعد ان بلغ الكمال في الفروع والاصول والمعقول والمنقول اهتدى الى هذا الرأي فمهد له بالإنحاء على العلماء المختلفين باللوم والتعنيف في كتابه احياء العلوم وسماهم علماء السوء ثم صرح برأيه في كتاب القسطاس المستقيم. وقد وقع في يدي امس فكان اول ما قرأته فيه هذا الموضوع . والكتاب موضوع في مناظرة جرت بين الامام وبين رجل من الباطنية الذين يقولون لا بد من امام معصوم يتبع في كل عصر

(المقلد الاول و . . الثالث معاً) : هل يوجد عندك هذا الكتاب هنا فتسمعنا ذلك

(المصلح) : نعم . واخذ كتاباً صغيراً وقرأ من اواخره ما يأتي :

« القول في طريق نجاة الخلق من ظلمات الاختلافات » .

فقال — اي مناظر الامام الغزالي — : كيف نجاة الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت : ان اصغوا الي رفعت الاختلاف بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في اصغائهم فانهم لم يصغوا باجمعهم الى الانبياء ولا الى امامك فكيف يصغون الي ؟ وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فى الازل بانهم « لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » وكون الخلاف بينهم ضرورياً تعرفه من كتاب (جواب مفصل الخلاف — وهو الفصول الاثنى عشر) فقال : فلو اصغوا اليك كيف كنت تفعل ؟

فلت : كنت اعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى اذ قال : « وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد » الآية . وانما انزل هذه الثلاث لان الناس ثلاثة اصناف — عوام وهم اهل السلامة البله وهم اهل الجنة وخواصّ وهم اهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم اهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة

اما الخواصّ فانى اعالجهم بان اعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرتفع الخلاف بينهم على قرب . وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال (احدها) القريحة النافذة والفطنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها . و (الثانية) خلوّ باطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث مسموع (والتفت الى المقلدين قائلاً : انظروا كيف حكم حكماً مطلقاً بأن خواص الناس لا يقلدون احداً . ثم قرأ :) فان المقلد لا يصغى والبليد وان اصغى فلا يفهم . (الثالثة) ان يعتقد انى من اهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بانك تعرف الحساب لا يمكنه ان يتعلم منك

« والصنف الثانى البله وهم جميع العوام » وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطلب بل شغلتهم الصناعات والحِرَف وليس فيهم ايضاً داعية الجدل بخلاف المتكايسين فى العلم مع قصور الفهم عنه . فهؤلاء لا يختلفون ولا يتخيرون بين الأئمة المختلفين فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة كما ادعو اهل البصيرة بالحكمة وادعو اهل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشغب بالمجادلة . وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة فى آية واحدة كما تلوته عليك اولا فأقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعرابى جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس اهلاً لذلك فقال : « وماذا عملت فى رأس العلم » أي الايمان والتقوى والاستعداد للآخرة « إذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لاعلمك من غرائبه » فاقول للعامي ليس الخوض فى الاختلافات من عشك فادرج فاياك ان تخوض فيه او تصغي اليه فتهلك فانك اذا صرفت عمرك فى صناعة الصياغة لم تكن من اهل الحياكة . وقد صرفت عمرك فى غير العلم فكيف تكون من اهل العلم ومن اهل الخوض فيه فاياك ثم اياك ان تهلك نفسك فكل كبيرة تجرى على العامى اهون عليه من الخوض فى العلم فيكفر من حيث لا يدرى[1]

« فان قال : لا بدّ من دين اعتقده واعمل به لاصل الى المغفرة والناس مختلفون فى الاديان فبأي دين تأمرنى أن آخذ او اعول عليه ؟ فاقول له للدين اصول وفروع والاختلاف انما يقع فيهما . اما الاصول فليس عليك ان تعتقد فيها الا ما فى القرآن فان الله لم يستر عن عباده صفاته واسماءه فعليك ان تعتقد ان لا اله الا الله وان الله حيٌّ عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثله شيء الى جميع ما ورد فى القرآن واتفق عليه الأئمة

---

(١) من المصائب ان تفلسف المتكلمين فى علم الكلام اخرجهم عن طريق القرآن فى تقرير العقائد وفسد التعلم بذلك حتى صار كل عامى يجادل فى الله بغير علم ولا كتاب منير ويخوض فى القدر ويذهب مذهب الجبر ويكون فى هذا اكثر جدلاً كلما كان اقرب من الشيوخ فى العلم والطريق فلا هو مجتهد يفهم ولا مقلد يسلم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فذلك كاف فى صحة الدين وان تشابه عليك شيء فقل « آمنا كل من عند ربنا » واعتقد كل ماورد فى اثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفى المماثلة واعتقاد أنه ليس كمثله شيء . وبعد هذا لاتلتفت الى القيل والقال فانك غير مأمور به ولا هو على حد طاقتك . فان اخذ يتحذلق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكني لا اعلم أنه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الاشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد العوام اذا العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا مالم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوماً الا بؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر[1] واذا التحق بأهل الجدل فسأذكر علاجهم

« هذا ما اعظ به فى الاصول وهو الحوالة على كتاب الله (قال المصلح : ولا تنسيا ان كلامه فى العوام) فان الله انزل الكتاب والميزان والحديد وهؤلاء اهل الحوالة على الكتاب . واما الفروع فأقول لاتشغل قلبك بمواقع الخلاف مالم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتفقت الامة على أن زاد الآخرة هو التقوى والورع وان الكسب الحرام والمال الحرام والغيبة والزنا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام والفرائض كلها واجبة . فان فرغت من جميعها علمتك طريق الخلاص من الخلاف فان هو طالبنى بها قبل الفراغ من هذا فهو جدليٌّ وليس بعامي . ومتى تفرغ العامي من هذا الى مواضع الخلاف ؟ أفرأيت رفقاءك قد فرغوا من جميع هذا ثم اخذ إشكال الخلاف بخنقهم ؟ هيهات ما اشبه ضعف عقولهم

(١) وكذلك وقع لهذه الامة ما زال يفتك فيها الجدل الذى أثاره الاختلاف حتى جعلها حرضاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في خلافهم الا بمثل مريض به مرض اشرف به على الموت وله علاج متفق عليه بين الاطباء وهو يقول : قد اختلف الاطباء في بعض الادوية انها حارة او باردة وربما افتقرت اليه يوماً فانا لا اعالج نفسي حتى اجد من يلزمني رفع الخلاف فيه

نعم لو رأيتم صالحاً قد فرغ من حدود التقوى كلها وقال ها انا ذا تشكل عليّ مسائل فاني لا ادري اتوضأ من اللمس والقيء والرعاف وانوى الصوم بالليل في رمضان او بالنهار الى غير ذلك فاقول له ان كنت تطلب الامان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف وانو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجبه يستحبه . فان قال : هو ذا يثقل عليّ الاحتياط ويعرض لي مسائل تدور بين النفي والاثبات وقال : لا ادري أقنت في الصبح ام لا واجهر بالتسمية ام لا ؟ فأقول له الآن اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه اغلب على قلبك كما لو كنت مريضاً وفي البلد اطباء فانك تختار بعض الاطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد في امر دينك فمن غلب على ظنك انه الافضل فاتبعه فان اصاب فيما قال عند الله فله في ذلك اجران وان اخطأ فله عند الله اجر واحد . وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اجتهد واخطأ فله اجر واحد » ورد الله الامر الى اهل الاجتهاد فقال تعالى « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لاهله اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ : بم تحكم ؟ قال بكتاب الله . قال : فان لم تجد . قال : بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فان لم تجد . قال :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أجتهد رأيي . قال ذلك قبل ان امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن له فيه (وهنا التفت المصلح الى المقلد وقال : أرأيت كيف وافق فهمي فى الحديث فهم الامام الغزالى الا انى خصصته بالاحكام القضائية دون الامور التعبدية كما هو ظاهر اللفظ والغزالى عمه وسنعود الى ذلك . ثم مضى فى القراءة) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى وفق رسول رسولِ الله لما يرضاه رسول الله . فقهم من ذلك انه مرضيٌّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وغيره . كما قال الاعرابى : انى هلكت واهلكت واقعتُ اهلى فى نهار رمضان فقال « اعتق رقبة » فقُهم ان التركي والهندى لو جامع ايضاً لزمه الاعتاق

وهذا لان الخلق ما كلفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كلفوا بما يظنونه صواباً كما لم يكلفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنون انه طاهر فلو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله فى اثناء الصلاة لما انبأه جبريل ان عليه قذراً ولم يعد الصلاة ولم يستأنف . وكذلك لم يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر واحد . ولم يكلفوا اداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه . ولم يكلف القضاة فى سفك الدماء واباحة الفروج طلب شهود يعلمون صدقهم بل من يظنون صدقه . واذا جاز سفك دم بظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد

وليت شعرى ماذا يقول رفقاؤك فى هذا ؟ يقولون اذا اشتبهت عليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر الى الامام ويسأله او يكلفه الاصابة التى لا يطيقها او يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح . قال لا اشك فى انه يأذن له فى الاجتهاد ثم لا يؤثمه اذ بذل كنه مجهوده وان اخطأ اوصلى الى غير القبلة . قلت فاذا كان من جعل القبلة خلفه معذوراً مأجوراً فلا يبعد ان يكون من اخطأ فى سائر الاجتهادات معذوراً فالمجتهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ماعند الله وبعضهم يشاركون المصيبين فى احد الاجرين فمناصبهم متقاربة وليس لهم ان يتعاندوا وان يتعصّب بعضهم مع بعض لاسيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران فى القبلة فاختلفا فى الاجتهاد فحقهما ان يصلى كل واحد منهما الى الجهة التى غلبت على ظنه وان يكف انكاره واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف الا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ فى اليمن يجتهد لا على اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على اعتقاد انه إن اخطأ كان معذوراً وهذا لأن الامور الوضعية الشرعية التى يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشيء من نقيضه بعد كونه مظنوناً فى سر الاستبصار واما مالا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته فى الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن

واما الصنف الثالث وهم اهل الجدل فانى ادعوهم بالتلطف الى الحق وأعني بالتلطف ان لا اتعصب عليهم ولا اعنفهم لكن ارفق واجادل بالتي هي احسن وكذلك امر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

آخذ الاصول التى يسلمها الجدلي واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذى اوردته فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد[1] والى ذلك الحد فان لم يقنعه ذلك لتشوفه بفطنته الى مزيد كشف رقّيته الى تعليم الموازين فان لم يقنعه لبلادته واصراره على تعصبه ولجاجه وعناده عالجته بالحديد فان الله سبحانه جعل الحديد والميزان قريني الكتاب ليفهم منه ان جميع الخلائق لا يقومون بالقسط الا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخواص والحديد الذى فيه بأس شديد للذين يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شأنهم وانه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم دون اهل الجدل واعني باهل الجدل طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن قياساتهم ناقصة اذ كانت الفطرة كاملة لكن فى باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات اكنة على قلوبهم ان يفقهوه وفى آذانهم وقراً لكن لم تهلكهم الا كياستهم الناقصة فان الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفى الخبر « ان اكثر اهل الجنة البُلْهُ وان عليين لذوى الالباب »

ويخرج من جملة الفريقين الذين يجادلون فى آيات الله واولئك اصحاب النار ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وهؤلاء ينبغى ان يمنعوا من الجدال بالسيف والسنان كما فعل عمر رضى الله عنه برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين فى كتاب الله تعالى فعلاه بالدرّة وكما قال مالك رضى الله عنه لما

(١) المنار — كنت اتعجب من وضع كتاب الاقتصاد المذكور على طريقة المتكلمين بعد ما وصل الغزالى الى الطريقة المثلى حتى رأيت سببه هنا وهو مجادلة المتكلمين بما الفوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سئل عن الاستواء على العرش فقال الاستواء حق والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة . وحسم بذلك باب الجدال . وكذلك فعل السلف كلهم وفى فتح باب الجدال ضرر عظيم على عباد الله تعالى فهذا مذهبي فى دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بان أدعو الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه يعرف به مقادير اعيان لا نهاية لها . كذلك من معه القسطاس المستقيم فمعه الحكمة التى من اوتيها فقد اوتى خيراً كثيراً لا نهاية له ولولا اشتمال القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نوراً لان النور ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره وهو نعت الميزان ولما صدق قوله « ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » فان جميع العلوم غير موجودة فى القرآن بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التى بها تفتح ابواب الحكمة التي لا نهاية لها فبهذا ادعو الخواص ودعوت العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة على الكتاب والاقتصار على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى ودعوت اهل الجدل بالمجادلة التى هى أحسن فمن أبى اعرضت عن مخاطبته وكففت شره ببأس السلطان والحديد المنزل مع الميزان

فليت شعرى الآن يارفيق بم يعالج امامك هؤلاء الاصناف الثلاثة ايعلم العوام غريب العلم فيكلفهم ما لا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم او يخرج الجدال من ادمغة المجادلين بالمحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى فى القرآن مع الكفار فما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أعظم قدرة امامك اذ صار اقدر من الله تعالى ومن رسوله . او يدعو اهل البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثعباناً بل يقولون : هو فعل غريب ولكن من من اين يلزم منه صدق فاعله وفى العالم من غرائب السحر والطلسمات ما تتحير فيه العقول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها وجملة انواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون معجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من ائمة السحرة ومن الذى يقوى على ذلك ؛ بل اهل البصرة يريدون مع المعجزة ان يعلموا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق استاذه فى قوله انى حاسب فهذه هى المعرفة اليقينية التى بها يقنع اولو الالباب واهل البصائر ولا يقنعون بغيرها البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك واخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته فى كتاب جواهر القرآن فمن اين يحتاجون الى امامك المعصوم وما الذى حل من اشكالات الدين وعن ما ذا كشف من غوامضه قال الله تعالى « هذا خلق فاروني ما ذا خلق الذين من دونه » وقد سمعت الآن منهاجي فى موازين العلوم فارنى ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الآن وما الذي يتعلمون منه وليت شعرى ما الذى تعلمت من امامك المعصوم اونى ما رأيتها :

ما يسدى بى وتسدى اوف خرابن وقلب يارفوت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتناول منها وانى اراكم تدعون الناس الى الامام ثم ارى المستجيب امامك بعد الاستجابة على جهله الذى كان قبله لم يحل له الامام عقداً بل ربما عقد له حلا ولم تفده استجابته له علما بل ربما زاد به طغياناً وجهلاً فقال : قد طالت صحبتى مع رفقائى ولكن ما تعلمت منهم شيئاً الا انهم يقولون عليك بمذهب التعليم واياك والرأى والقياس فانه متعارض مختلف . فقلت فمن الغرائب ان يدعوا الى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتمونى الى التعليم فاستجبت فعلمونى ما عندكم فقال : ما اراهم يزيدوننى على هذا شيئاً . فقلت : فانى قائل ايضاً بالتعليم وبالامام وببطلان الرأى والقياس وانا ازيدك على هذا لو اطقت ترك التقليد تعلم غرائب العلوم واسرار القرآن فاستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما اشرت الى انشعاب العلوم كلها منه فى كتاب جواهر القرآن لكنى لست ادعو الى امام سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولا الى كتاب سوى القرآن فمنه استخرج جميع اسرار العلوم وبرهانى على ذلك لسانى وبيانى وعليك ان شككت تجربتى وامتحانى افترانى اولى بأن يتعلم منى من رفقائك ام لا ؟ » اه

(المقلد والثالث) : ان الامام الغزالى اثبت التقليد بل اوجبه على العوام وفى كلامه بعض اشكالات لم يبق فى الوقت سعة للبحث فيها

(المصلح) : سنبحث فى هذا فى مجلس آخر ان شاء الله تعالى وافترقوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ باب الاسئلة والاجوبة الدينية ﴾

(١) مجاور فى الازهر : ما معنى قوله تعالى «وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون » فقد استشكل المفسرون فى لام ليعبدون اذ لا يصح ان تكون للتعليل لان افعاله تعالى لا تعلل ولا للغاية لان اكثرهم لا يعبده . وذهب بعضهم الا انها لام العاقبة والصيرورة وقال انه لا يلزم وقوع ما بعدها ومثل لها بانك اذا قلت بريت القلم لاكتب به ولم تكتب تكون صادقاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهـذا اذا ظهر بالنسبة الى الناس فليس بظاهر بالنسبة الى البارى سبحانه وتعالى . وقال البيضاوى : لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيًّا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى قوله تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس » وقيل معناه لنأمرهم بالعبادة أو ليكونوا عباداً اه ولا تطمئن اليـه النفس . فهل عندكم ما اوضح من ذلك ؟ اه بتصرف

(ج) اللام للغاية حتماً والآية حاكية عن طبيعة النوع الانسانى وشارحة لترقيه فى الشعور الدينى الذى الهمه بالفطرة وتاريخ الانسان يؤيد معناها ويقاس به النوع الذى سماها الله بالجن لانه مجتنٌّ ومستتر عنا

الشعور الفطرى الذى اودعه الانسان هو ان فى الوجود سلطة وراء الطبيعة يخضع لها ويعظمها وينيط بها كل حادث لم يقف على سببه وهذا الخضوع والتعظيم هو العبادة . وقد كان فى اطوار الجهالة يضيف مالا يعرف سببه الى مظهره ويخضع لذلك المظهر هذا النوع من الخضوع الذى قلنا انه يسمى عبادة فعبد السحاب لانه مظهر البرق والرعد والمطر وعبد الثعابين لان لها قوة فى الاعدام لم يكن يعرفها وعبد بعض البشر لانه ظهر على ايديهم اعمال غريبة لم يقف على عللها واسبابها وكان يرتقي فى مجموعه فى هـذه الاعتقادات تدريجاً وغاية ما ينتهى اليه بعد كمال العلم والمعرفة ان يعتقد ان مظاهر الافعال الخارقة فى نظره أو بالنسبة له ولغيره هى كمظاهر الافعال العادية مسخرة لقوة غيبية مطلقة عرفت بآثارها لا بذاتها وان صاحب تلك القوة هو الله تعالى الذى لا يستحق العبادة غيره فيعبده حينئذ وحده

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٢) السيد عمر بن مبروك من تونس : عندنا ماجل[1] في دارنا يجتمع فيه ماء المطر من السطوح فنستعمله في العادة والعبادة وقد وقع فيه فرخ حمام ميت وكان الوقت صيفاً والماء فيه قليلاً فتغير لونه وريحه وتعذر علينا اخراج الفرخ منه فتركنا استعماله حتى جاء الشتاء وامتلأ الماجل بالماء وزال التغير من لونه ورائحته وعاد زلالاً نقياً فسألنا سادتنا الحنفية عنه فقالوا لا بد من نزع ماء الماجل كله وسألنا سادتنا المالكية فقالوا لا بد من اخراج الطير او ما بقي منه في الماء ليجوز استعماله في العادة والعبادة . وفي ذلك مشقة علينا كبيرة ونحن مضطرون لاستعمال هذا الماء وقد قصدنا مذهب ساداتنا الشافعية لعلنا نجد فيه رحمة فافيدونا يرحمكم الله

(ج) مذهب الشافعية ان الماء اذا بلغ قلتين لا ينجس الا بتغير طعمه اولونه او ريحه من النجاسة فلو كان الماء متنجساً لوقوع نجاسة فيه وهو قليل ثم زاد حتى بلغ قلتين يطهر ولو كان الماء المتجدد متنجساً ايضاً بل ولو كان مائعاً نجس العين . والقلتان ستمائة رطل بغدادي وتبلغ بالمساحة نحو ذراعاً وربع طولاً وعرضاً وعمقاً ولا شك ان ماجلكم اوسع من ذلك فهو طاهر حتماً . هذا وان الله تعالى امرنا بازالة النجاسة ليطهرنا لا ليعنتنا وهو يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر وما جعل علينا في الدين من حرج والنجاسة التي نهينا عنها هي القاذورات التي تنفر منها الطباع السليمة فهل يعقل ان ماجلاً عظيماً وحوضاً كبيراً فيه ماء صاف نقي لا تغير فيه يحكم عليه بالنجاسة لتدقيق بعض الفقهاء في الحدود التي وضعوها للاصطلاحات

(١) الماجل في اللغة كل ماء في اصل جبل او واد ولعل اهل تونس يطلقونه على الصهريج

الشرعية ويلزم لهذا التدقيق اعنات اهل بيت من المسلمين وايقاعهم فى الحرج والعسر اللذين نفاهما الله تعالى ؟

(٣) الشيخ احمد محمد الألني من طوخ القراموص : ما الفرق بين العهد الذى لقنه النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين والمؤمنات وبين العهد الذى تناقله اهل الطريق بالاسانيد الصحيحة الى النبي صلى الله عليه وسلم . أليسوا من المؤمنين والمؤمنات حتى يفرق بينهم وبين غيرهم وما هو دليل الخصوصية فى عمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا . وهل لا تعتبر هذه الاسانيد الصحيحة حجة فى النقل اه بنصه

(ج) ان مبايعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤمنين والمؤمنات التى ذكرناها فى جواب سؤالكم الرابع من الاسئلة المنشورة فى الجزء الثالث ليست تلقين عهد كالعهد المعروف الآن بين اهل الطريق . اما مبايعة المؤمنين المشار اليها فى سورة الفتح فهي انه لما خرج النبي صلى الله الى عليه وسلم باصحابه لعمرة الحديبية وصده المشركون وارسل اليهم عثمان ابن عفان الى مكة يخبرهم انه جاؤا عمّاراً لا مقاتلين وشاع انهم قتلوه عزم النبي عليه الصلاة والسلام على مقاتلة القوم وبايع اصحابه رضى الله تعالى عنهم على عدم الفرار او على الموت (روايتان) وبلغ ذلك المشركين فخافوا وانتهى الامر بالصلح المشهور . وفى ذلك نزل قوله تعالى « ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » وقوله عز وجل « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة »

وأما مبايعة المؤمنات فهى المشار اليها فى قوله تعالى « يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يزنين » الآية — وورد انه عليه الصلاة والسلام بايع المؤمنين مثل هذه المبايعة وعلى السمع والطاعة فى العسر واليسر والمَنْشَط والمَكْرَه وأُثرته عليهم وان لا ينازعوا الامر اهله وان يقولوا الحق حيث كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم . والروايات فى ذلك متعددة . ولا خلاف بين اهل الحق فى ان هذه البيعة لازمة فى عنق كل من يدخل الاسلام وهى السمع والطاعة لله ولرَسوله وعدم عصيان أُولى الامر فى معروف . ولكن هل لأحد من الناس ان يبايع الناس على طاعته غير خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو امام المسلمين ؟ كلا ومن يدعيه فعليه البيان

ومشايخ الصوفية يعبرون عن الدخول فى الطريق بلبس الخرقة ويذكرون لذلك فى اجازاتهم سنداً ينتهى الى الحسن البصرى وان علياً كرم الله وجهه البسه الخرقة ولذلك ترى الطرائق كلها تنتهى الى سيدنا علي عليه الرضوان والسلام . ولكن أئمة علم الحديث قالوا : حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم أَلبَس الخرقة على الصورة المتعارفة باطل لا أصل له . قال الحافظ ابن حجر لم يرد فى خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أَلبَس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية احداً من اصحابه ولا أمر احداً من اصحابه بفعل ذلك وكلما يروى فى ذلك صريحاً فهو باطل . وقال : من المفترَى ان علياً أَلبس الخرقة الحسن البصريّ فان أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من عليّ سماعاً فضلاً عن ان يلبسه الخرقة . قال فى الفوائد المجموعة فى الاحاديث الموضوعة : وقد صرح بمثل ما ذكره ابن حجر جماعة من الحفاظ كالدمياطى والذهبى وابن حبان والعلائى والعراقى وابن ناصر

ويا ليت السائل يذكر لنا العهد الذي قال ان اهل الطريق تناقلوه بالاسانيد الصحيحة الى النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر لنا الحفاظ الذين خرجوه

(٤) هل تقولون فى الروح الناطقة الانسانية والكشف وكرامات الاولياء فى الحياة وبعد الموت بقول جمهور اهل السنة والجماعة ام ما هو مذهبكم فى ذلك :

(ج) اما الكرامات فليراجع السائل فيها ما كتبناه فى المجلد الثانى من المنار (صفحه ١٤٥ و ٤٠١ و ٤١٧ و ٤٤٩ و ٤٨١ و ٥٤٥ و ٦٥٧) فقد اثبتنا ما يقوم عليه الدليل من الكرامات . واما الروح فنقول فيها ما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقوله وهو « الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا » واما الاسئلة التى تتعلق بالاجتهاد والتقليد فمحاورات المصلح والمقلدين ذلك مفصلاً تفصيلا

آثار علمية

مكتوب . فى حق مسلوب

يظن الذين لا فضيلة لهم بان العفة والشهامة والشمم والاباء وعزة النفس والنجدة وما اشبهها من السجايا الفاضلة الفاظ لا توجد الا فى القاموس وهى من لغو الكلام الذى لا يصدق على شيء . وقد جاءنا من مدة مكتوب من صديق نعرفه من افضل الفضلاء وائمة محاريب الانشاء يحكى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيه عن شيء اتفق له وهو صادق في جميع ما قال وهاك مكتوبه معرباً بقلم يحاكي قلمه :

سيدي رب الكمال

مذ افكر في فتور المراسلة بيننا طول هذه المدة يعروني الخجل ويؤثر في نفسي اثرا يذهب بالراحة والطمأنينة ولا شيء اشد نكاية على الانسان من مؤاخذة نفسه له وعتاب ضميره الذي لا يعذر ولا يحابي

ترى ماهو الحكم الذي تسجلونه عليّ او ما هي التهم التي توجهونها اليّ عند ماتفكرون في انقطاع رسائلي عنكم كل هذه المدة ؛ اما انا فالله يعلم انني بريء . بينا انا متألم من الجراح التي فتحتها في قلبي مصائب الوطن اذ رأيتني الآن مشغولا بمحنة نفسي مضطرباً من النازلة الفادحة التي المَّت بي رأيتني اصارع الظلمة وأواثب المعتدين فلقد حرمت من حقوقي وهي بمثابة الشمس في الظهور والنهار في الجلاء والوضوح . الحقّ اقول : لو كنت ادوس تحت قدمي الناموس والحمية وسائر المزايا الانسانية الشريفة في سبيل نيل المطالب الخسيسة وتناول الحظوظ الفانية وأهين النفس في التزلّف الى اولئك الاسافل النازين على مراتب العلّية[1] وذوي السبق والفضل فالثم ارجلهم القذرة واذيالهم النتنة وايديهم الدنسة واضعها على الرأس تبجيلاً لهم وتفخيماً . بل لو كنت اسلك في طلب حاجاتي مسلك التسوّل مبالغاً في الملق والتبصبص[2] محركاً بضراعتي عاطفة الحنان والشفقة

(١) العلية بالضم والكسر مع تشديد اللام المكسوره والياء الاشراف والاعلياء

(٢) التبصبص والبصبصة تحريك الكلب ذنبه تقرباً للانسان ويطلق على التملق مطلقاً . وعند عامة المصريين النظر الى النساء بشهوة والتعرض لمغازلتهن وهو تجوز يليق باولئك الادنياء الذين هم احقر من الكلاب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

علىّ كما هو شأن اصحاب الدناءة الذين يحسبون ان هذا العمل هو مناط المجد واقرب وسيلة لنيل الفخر والشرف . او لو كنت اظهر الخضوع والتخشع الى درجة تحاكي العبادة لقوم هم اخبث من الشياطين لأجل جلب توجههم الىّ وأغرق فى مدح الفراعنة والملاعين حتى اصعد بهم من ارض البشرية الى سماء الالوهية تقليداً لاولئك المداهنين المخذولين ولا اربأ بنفسى عن عرض العبودية لهم بمثل قول الشاعر :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

— لو كنت آتى بشيء من ذلك لما رجعت بخيبة ولما صادفت حرماناً . لكننى بحمد الله لم ادع عملاً كهذا يخلص الى خاطرى او يحوك فى نفسى . نعم احببت ان اعرض شيئاً من الآثار الادبية التى تناسب عجزي وقصوري مؤملاً ان تكون خير وسيلة للرقىّ وامثل طريق للسعادة وكنت لا اظهر شيئاً من علم او معرفة الا ويقابل بالبشاشة ونظر الاعجاب وانقد عليه كثيراً من كلمات التحسين والتحبيذ المستخرجة من خزينة (آفرين) التى لا نفاد لها والتى شكا منها الشاعر نابى [1]

لكن بعيشك قل لى هل استفدت من سعيي بطائل ؟ وهل اثمر سوى

---

(١) نابى احد مشاهير شعراء الترك وحكمائهم والمقصود من شكايته قوله :

ارزان متاع فضل وهنرباق نه رتبه كيم بيك معرفت رمانه ده سر آفرينه در
ارباب دهر هر هنره آفرين ويرر يارب بو آفرين نه توكنمز خزينه در

والمعنى تأمل فيما آلت اليه اثمان المعارف والفضائل فى هذا العصر ترى الاديب يظهر الف اثر فلا ينقد عليه سوى (آفرين) واحدة وهكذا ارباب العصر جميعهم يعطون في مقابل كل اثر ادبي آفرين آفرين فيا عجباً لخزينة آفرين كيف لا ينفد مددها ولا يفنى عددها . وآفرين كلمة استحسان تركيه كمرحى فى العربية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحمية والحرمان ؟ وهل كانت بشاشتهم فى وجهى سوى ضحك يدل على الاستهزاء والسخرية بأوضح تعبير . ان أولئك الخَسَرة الذين سميتهم ظلمة قد غمطوا حقي بغير مساغ مع أنهم واحتقاه يعترفون بذلك . يقولون لى « هكذا جرى فلا تتألم » كما اذا ضربت احداً بلا ذنب ولا سبب وقلت له : لا تأس ولا تتكدر

ياللعجب ! هل انا من قوم رزئوا بالعجز واصيبوا بكل ضروب المهانة فأتحمل هذه الاهانة ؟ هل انا اسير الذلة او ذليل المنة حتى احني ظهري للاستخذاء ؟ هل شأني شأن أولئك الاذلاء الذين رضوا الدناءة والقوا المهانة حتى أراني اوطأ بأقدام المذلة ثم اعتدّ ذلك حسناً جميلاً ؟ ما هو السبب للإغضاء والتحمل ؟ لست عاجزاً ولا وضيعاً فاهضم الظلم واغمض على القذى . لست خالياً من العزة وعلو الهمة فاحمل نفسي على الرضى وعدم المبالاة . لست من فاقدي العزيمة الذين يستحوذ عليهم اليأس فيفرطوا فى حقوقهم حتى ازج نفسي فى زاوية الضعة والخمول . فطرتى ليست ملوثة بالجبن والخور حتى اتهيب من ادعاء الحق . طينتي لا يشوبها شيء من الخساسة والسفالة حتى اطأطئ عنقي لصفعة الاهانة . لا يليق بالجرىء الذي لا يهاب ان يعمل عمل الجبان العاجز حتى اسلك سبيل الدهان والنفاق فاسمي الباطل حقاً والمنكر معروفاً . لا يحسن بذي الغيرة والحمية ان تتحول حرارة غيرته وغليان حميته الى برودة وخمود حتى ارى بعيني من يبتز حقي وينتهك حقيتي ثم اسكت كظيماً . وانكس مهضوماً . لا ارضى ان اكون فاقد الشعور كالاموات عديم التأثر كمن إيفت حواسه . انا حيّ اشعر بحقوق الاحياء فاتألم من كل ما يصادم الحق ويمس الشرف . انسان انفر

إهداء من شبكة مكتوب في حق مسلوب www.alukah.net

واضطرب لكل معاملة تنابذ الانسانية وتحط من كرامتها .

واعجباً ! تسمى البهائم جهدها فى صيانة فرائسها وحفظها من مخالب اعدائها واتقاعس انا عن انتياش حق من ايدى الظلمة المتغلبين . هل الانسانية احط شأناً من البهيمية ام الحق المقدس فى نظري من محقرات الامور والسفاسف التى لا يؤبه لها ؟

قسماً بالقهار المنتقم لاجتهدن ولأثبتن فى الدفاع عن الحق حتى آخر نفس من حياتى . ولو اعترضت دونى شواهق الجبال وقام فى وجهى سد من حديد لاقتحمتها بعزم المتجلد وصبر المستميت . ما دمت اجد فى لسانى ذرابة واحسّ من قلمى بمضاء فلست بمسك لسانى عن القول ولا بوازع قلمي عن العمل . ما دام فى قلبي صبر وفى عزمي قوة فلا احبس نفسى عن الكفاح ولا امنع قدمى عن الاقدام . بل لو تمثلت فى سبيل عزيمتى الاهوال ، وكشرت لى عن انياب غوائلها الاغوال ، وكل ما يسمونه خطراً وهلكة لما صدنى ذلك عن بلوغ غايتى ولما غشينى لاجله ونًى ولا فتور

قد كنت قلت قولاً واقول الآن : « انلديَّ من السآمة للحياة بقدر ما عند الناس من الكراهة للموت » . لتنغمس تلك الحياة المرة فى بحار ظلمات العدم التى لا يدرك قعرها . لتهوِ فى آخر دركات الجحيم . نعم ماذا يضر لو عجنت قبضة من تراب الارض بدم مظلوم اريق فى سبيل نصرة الحق . لكن ليعلم الظالمون وليكونوا فى أمن من رؤية انتقالى من دار الدنيا قبل ان اعمل فى تشهير قبائحهم والإشادة بمخازيهم وفضائحهم في اقطار العالم واصب على رؤسهم — وسحقاً لها — سياط المصائب واقذف عليهم صواعق البلاء وادعهم يئنون تحت اعبائها ويتململون من مس آلامها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا جرم ان موقد نار الظلم والعامل على تخريب البيوت لا تنام عنه العيون . « وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون »

ياسبحان الله ! بينا انا فى صدد الاعتذار عن عدم كتابة رقيم اليك واذ بالتأثُّر والامتعاض حفزنى من حيث لا اشعر فَهِمْتُ فى كل واد وتفننت فى اساليب الكلام . على انه لا ينبغى العجب فان من كان مثلى مخاطبي فى الاطلاع على الخفايا والوقوف على الاسرار يجب ان لا اكتمه حديثاً ولا اخفى عنه ما يحوك فى ثنيات النفس

فهاك ياسيدى قصتى عرضتها على النظر الكريم ويغلب على ظنى ان معذرتى عن تراخى مكاتبتي تتكفل بعفوكم لان قبول المعذرة من شأن الكرام . وارى ان اختم كلامي بعرض افتقارى الى فوائدكم العلمية واود ان اكون ذا نصيب منها مولاى

« للفيلسوف الاسلامي ابى العلا المعرى »

اذا مدحوا آدمياً مدحـ ـت مولى الموالى ورب الامم
وذاك الغنىُّ عن المادحين ولكن لنفسى عقدت الذمم
له سجد الشامخ المشمخرُّ على ما بعرنينه من شمم
ومغفرة الله مرجوّة اذا حبست اعظمى فى الرِّمم
مجاورَ قوم تمشى القنا ء ما بين اقدامهم والقمم
فيا ليتنى هامداً لا اقوم اذا نهضوا ينفضون اللِّمم
ونادى المنادي على غفلة فلم يبق فى اذن من صمم
وجاءت صحائف قد ضُمِّنت كبائر آثامهم واللَّمم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فليت العقوبة تحريقهم فصاروا رماداً بها اوحمم (١)
رأيت بني الدهر في غفلة وليست جهالتهم بالأمم (٢)
فنسك اناس لضعف العقول ونسك اناس لبعد الهمم

« للشاعر العصري المجيد حافظ افندي ابراهيم »

هجعت يا طير ولم اهجع ما انت الا عاشق مدعى
لو كنت ممن يعرفون الجوى قضيت هذا الليل سهداً معى
يا من تحاميتم سبيل الهوى أعيذكم من قلق المضجع
وحسرة في النفس لو قسمت على ذوات الطوق لم تسجع
ويا بني الشوق واهل الاسى ومن قضوا في هذه الأربع
عليكم من واجد مغرم تحيية الموجع للموجع
لله ما اقسى فؤاد الدجي على فؤاد العاشق المولع
هذا غليظ لم يَرُضه الهوى ما بين جَنْبَيْ اسود أسفع
وذاك في جنبي فتى مدنف على سوى الرقة لم يطبع
واغيدٍ اسكنته في الحشا وقلت يا نفس به فاقنعي
نفاره اسرع من خاطري وصدُّه اقرب من مدمعي
وخدُّه لا تنطفي ناره كأنما يقبس من اضلعي
تساءلت عني نجوم الدجي لما رأتني دانيَ المصرع
قالت نرى في الارض ذا لوعة قد بات بين اليأس والمطمع
يئنّ كالمكبود او كالذي اصابه سهم ولم ينزع

(١) اي ياليتهم يحرقون فيكونوا رماداً او فحماً ولا يكون عذابهم دائماً
(٢) الامم بالتحريك القريب اى انهم عريقون فى الجهالة وبعيدو العهد بها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن كان فى بدر الدجى هاتما اما لهذا البدر من مطلع
او كان فى ظبي الحمى مغرماً اما لهذا الظبي من مرتع
هيهات يا انجم ان تعلمى من ذا الذى اهواه اوتطمعى

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(القسطاس المستقيم) بحق لقبت الامة الاسلامية الامام ابا حامد الغزالي بحجة الاسلام فقد كان فى بدايته حجة المتكلمين والفقهاء المقلدين وفى نهايته حجة الأئمة المجتهدين بل حجة العلم والدين . ومن اجل ما كتبه فى نهايته وانفعه كتاب (القسطاس المستقيم) وهو مصنف مختصر يشرح فيه مناظرة جرت بينه وبين رجل من اهل مذهب التعليم الباطنى الداعين الى القول بالامام المعصوم فى كل عصر

وقد جاء فى رسالة المحاورة الثامنة بين المصلح والمقلد فصل من فصول هذا الكتاب فكانت نموذجاً اغنانا عن التطويل فى تقريظه . وفيه ان الموازين التى تعرف بها الحقائق ثلاثة فى الجملة وخمسة فى التفصيل وقد استخرجها كلها من القرآن . وقد طبع هذا الكتاب من عهد قريب الفاضل المهذب الشيخ مصطفى القبانى الدمشقي بمطبعة الترقى الشهيرة واضاف اليه هوامش لايضاح بعض العبارات وتفسير بعض الكلمات . وذكر فى اول الكتاب ترجمة الامام الغزالى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين . وثمن الكتاب ثلاثة غروش اميرية وهو ثمن بخس بالنسبة الى ورقه الحسن وطبعه الجيد واما بالنسبة الى فوائده فلا يوفيه حقه الا من عمل بهديه القويم ، ووزن بقسطاسه المستقيم ، وهو يطلب من مكتبة الترقى ومكتبة هندية ومكتبة جمالى وخانجي بالقرب من الازهر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(المرأة المسلمة) كتاب جديد يقارب كتاب المرأة الجديدة فى حجمه ويخالفه فى مباحثه غالباً لحضرة الكاتب الفاضل محمد فريد افندي وجدى . واكثر مباحثه فى المرأة اجتماعية نظرية يحتج عليها بما كتبه بعض علماء الغرب وفلاسفتهم فى انتقاد تربية النساء وطرق تعليمهن والافراط فى حريتهن . ومعلوم ان طريقة العلماء والسياسيين الاوربيين فى الانتقاد ان يغلو كل فريق منهم فى طرف يخالف فيه الآخر لتظهر خفايا الامور للجمهور لاجل العمل بها عند ظهور بارقة الحقيقة من بين تصادم الافكار وقدح زناد الانظار . ومن اراد معرفة المرجح عندهم فلينظر الى ما عليه العمل لا الى جمل فى جريدة او كتاب وكذلك الحال عند كل امة فالحالة التى عليها نساؤنا هى المرجحة عند مجموع امتنا وان ذمها بعض العقلاء والفضلاء ولن تتغير حتى تتغير شؤن التربية واحوال المعيشة والعلم بالمصلحة وهذه الكتابات فى شأن النساء المهمل عندنا التى دفع الناس الى الخوض فيها تأثير كتابى الفاضل قاسم بك امين ستكون من اسباب التغيير ولو بعد حين

وكتاب «المرأة المسلمة» مؤلف من مقدمة وثلاثة عشر فصلاً وخاتمة لخص فيها جميع الفصول فى تسع نظريات وقد صدق وانصف بتسميتها نظريات — وهي : (١) المرأة اضعف من الرجل جسماً واقل منه قبولاً للعلم لان وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك لا لأن تكون خاضعة للرجل (٢) كمال المرأة فى موهبة روحانية متعت بها اكثر من الرجل وهى الشعور الدقيق والعواطف الرقيقة واستعدادها لتضحية نفسها فى سبيل الخير وهذه المواهب اذا نمت فيها تكون لها مكانة تحنى لها الرؤوس اجلالاً ولكنها لا تنمو الا تحت قيادة الرجل «ولو فاقته فيها واستطاعت ان تأسره بها ولكنها

لا تأسره بها لانها لو فعلت بطل مضاء سلاحها وزايلتها بهجة موهبتها فتقع فيما لا ترضاه لنفسها» (٣) ان هذا الكمال لا تناله المرأة الا اذا كانت زوجة لرجل واماً لأطفال تربيهم تربية صحيحة (٤) « ان اشتغال المرأة باشغال الرجال قتل لمواهبها واذهاب لبهجتها ومدعاة الى هبوطها ومفسدة لتركيبها ومجلبة للخلل فى امتها وان عمل المرأة الغربية خارج بيتها يعده علماء بلادها جرحاً دامياً فى فؤاد الامة واثراً من آثار اسر الرجال للمرأة ويعملون بكليتهم على تضييق دائرته » (٥) ان الحجاب ضرورى للنساء لصلاح النوع الانسانى كله على العموم وصلاحها على الخصوص لانه ضمانة استقلالها وكفالة حريتها لا علامة ذلها وعنوان اسرها . وقلنا انه لا يمنع كمالها بل يهيئه وانه وان كان له شيء من المضار كما هى طبيعة كل شيء فان مزاياه وفوائده لا تقدر ومن اظهرها ان يجبر المرأة الى عدم تخطى دائره وظيفتها الطبيعية التى فيها كل سعادتها ويوجهها لتنمية خصيصتها السامية التى هى سلاحها الوحيد فى هذا الحرب الحيوية » (٦) « المرأة فى المدنية المادية ليست كاملة ولا سائرة الى الكمال » (٧) « ان طرق التعليم فى كل ممالك اوروبا واميركا غير صالحة للنساء بشهادة اصحابها انفسهم » (٨) « ان تعاليم الديانة الاسلامية بالنسبة للمرأة موافقة لفطرتها تمام الموافقة فهى كالقالب التام التركيب لجميع خصائصها وملكاتها بمعنى ان تلك الخصائص لو نمت على حسب تلك التعاليم لبلغت المرأة المسلمة اعلى شأو يمكنها ان تبلغه بدون ان تتعدى حدودها الطبيعيه » (٩) «لا ينقص المرأة المسلمة لكى تبلغ اكمل نقطة يمكن ان يناله جنسها الا تعلم مبادئ العلوم الضرورية ليس الا »

هذا مجمل مسائل الكتاب ويطلب من مؤلفه ومن مطبعة الترقى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مصاب الصحافة . وفاة بشارة باشا تقلا

في ليلة السبت الماضي (١٥ يونيو سنة ١٩٠١ — ٢٨ صفر سنة ١٣١٩) تقوض ركن الصحافة الركين ، وفت في عضدها المتين ، حيث حل القضاء المبرم ، ونزل القدر المحتم ، فاختطف بشارة باشا تقلا صاحب جريدة الاهرام العربية وجريدة البرامید الفرنسوية وهو في مستوى طور الكهولة ناهز الخمسين ولم يبلغها . وقد تقدم هذا القضاء السماوي بعشرين يوماً انذار مرضي حار نطس الاطباء في معرفة حقيقته ، ولم يهتدوا الى طريقة معالجته . والارجح انه كان في ذلك الدماغ الجوال ، الذي كان كصاحبه لا يعرف الاعياء والكلال ،

ورد الفقيد وادي النيل من لبنان مع اخيه الكاتب الشهير سليم بك تقلا منشئ جريدة الاهرام واشتغلا بالصحافة وكانت ارضها مواتاً فاحيتها همتهما ، وغرسا واستثمرا بجدهما وعزيمتهما ، وقد كانا سليم وبشارة ، يقتسمان التحرير والادارة ، فلما اغتالت المنون احد الفرقدين ، نهض الآخر بالامرين ، وتقدمت الاهرام به وتقدم بها فأصاب ثروة طائلة وجاهاً عريضاً وما زال يرتقي في رتب الدولة العلية ويتمتع برواتبها ويتحلى بوسامات الشرف منها حتى بلغ رتبة (رومبلي بكاربكي) التي لا يعلوها في الرتب الملكية الا رتبة الوزارة وتحلى بالوسام المجيدي الاول . وكان محلًّى بوسامات دول اخرى كوسام ليجون دونور الفرنساوي من الدرجة الثالثة ووسام سان استانس لاسي الروسي ووسام المخلص اليوناني من الدرجة الثانية ووسام الافتخار التونسي وغير ذلك

نجحت الاهرام في اول عهدها بمساعدة الحكومة المصرية لا سيما في ايام وزارة دولتلو رياض باشا الذي لم تنجح جريدة من الجرائد الشهيرة الغنية

بمصر الابسعيه حتي قيل ان الحكومة كانت تلزم الموظفين والوجهاء بالاشتراك وتكلف جبايتها بتحصيل قيم الاشتراك منهم ثم لما انقضى هذا الدور وصار الناس مختارون فى الاشتراك استمر النجاح بسعي الفقيد الموافق لحالة البلاد الاجتماعية والادبية وقلما ينجح عمل مخالف لاستعداد الناس الا ان يكون بعد تأسيسه بزمن طويل

وقد احتفل فى مساء يوم السبت بجنازة الفقيد احتفالاً لائقاً بمقامه مشى فيه كثيرون من الوجهاء والفضلاء ومنهم اصحاب الجرائد المصرية كلهم وصلى عليه فى كنيسة الروم الكاثوليك ودفن فى قرافتهم بمصر العتيقة وابنه على القبر كل من الاديب يوسف افندى البستانى والاصولى الفاضل نقولا بك توما ورجع المشيعون وهم يستمطرون له الرحمة ويدعون لقرينته الفاضلة ولولده النجيب بالعزاء والسلوة

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

الواسطة والزيارة — او ابن تيمية والسبكي

من المؤلفين من حظه كثرة النقول ، وان خالفت المعقول . وارضاء العوام ، ولو بما يضر الانام ، ومن الناس من يتحرى الهداية والارشاد ، وإن استهدف لسهام الانتقاد ، وما تفرد احد بالامامة فى عصر ، وبرز على العلماء فى قرية او مصر ، الا سلط عليه الحاسدون ، وطعن فيه المعاصرون ولقد كان الامام احمد بن تيمية فى عصره ناصر السنة ، وخاذل البدعة ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمحيط بعلوم الدين ، والمحي اجتهاد المجتهدين ، وكان جرد حسام قلمه لمحاربة البدع والدعوة الى مذهب السلف لا سيما فيما يتعلق بالعقائد واصول الدين فحمل عليه بعض علماء التقليد الذين يرون معاشهم وجاههم بارضاء العامة فخاضوا فيه كما خاضوا فى الائمة من قبله . ومضى الزمان على ذلك

وقد انتدب بعض الفضلاء فى هذه الايام ، لاحياء مؤلفات هذا الامام ، فبدأ بطبع رسالة الواسطة التى تحمى حقيقة التوحيد وتدعو الناس لان يوجهوا وجوههم فى طلب حاجاتهم للذى فطر السموات والارض وان لا يعبدوا غيره ولا يستعينوا فيما وراء الاسباب التى سنها لهم الا به وان لا يتخذوا غير دينه واسطة بينهم وبينه لانه تعالى كما قال اقرب اليهم من حبل الوريد

فرأى بعض المشايخ الذين يحبون الشهرة عند العوام ويرون لهم فى ذلك منفعة وجاها ان ينتصر لهم فيما يأتونه فى الاضرحة من البدع والمنكرات وطلب الحاجات من غير الله تعالى بالرد على الامام بن تيمية فسمى بنشر عدة رسائل احداها منسوبة للقاضى تقى الدين السبكى الشافعي الشهير . وكتب مقدمة لهذه الرسائل جاء فيها بالتناقض واقام الحجة على نفسه فكان قاضياً حكم على كلامه وكلام السبكى بالابطال من حيث لم يفهم الا أن يكون اراد ان يدلس على الناس بالتمويه . وافتتح المقدمة بتشبيه مشهور انتحله لنفسه والارجح انه لم يفهمه لانه استعمله فى غير موضعه .

اما تناقضه وتهافته فهو انه ذكر اولاً انه لاشفاء لاحد من الامراض الروحية ولا سعادة له الا باستعمال أدوية الدين وهى كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح وهذا مايدعو اليه الامام بن تيمية ومن على شاكلته من اهل الهدى . ثم أنشأ بعد هذا التمهيد يثبت لاجل الرد على

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن تيمية ان بين العباد وبين ربهم واسطة تحجبهم عنه ولا يمكن الوصول الى مرضاته الا بها وهي غير دينه الذي شرعه لهداية الناس ولما لم يجد لهذا دليلاً من الكتاب ولا من السنة ولا هدي الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين حاول ان يثبته بالاحتمالات الخيالية كاحتمال ان لأرواح الاموات تأثيراً وامداداً كما يقول بعض الفلاسفة وذكر بعض كلمات من شرح قصيدة ابن سينا الفيلسوف ومن غيرها . وحسب صاحب هذه المقدمة انه يدعو الى كتاب مملوء بالموضوعات اي بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان لم يقرأه فهو شاهد زور والا فهو لا يميز بين الصحيح والموضوع . قال في الاستدلال على انتفاع العامة بالقبور والاضرحة ان الانسان يتأثر بتصوراته . وهذا صحيح ولكن هذا التأثر وهمي يحصل للمعتقد بالشيء ولو كان صنماً وينقل مثله عن عوام سائر الملل فهل يكون قوله هذا حجة على ان دين الاسلام ، بنى عقائده وعباداته على اسس الاوهام ، وزعم ان العامي لا يعتقد ان الولي يؤثر أو ينفع وانما يعتقد انه يدعو الله تعالى معه فيكون الدعاء ارجى للقبول وهذا الزعم منقوض بما يشاهد من العوام من طلب الحوائج من الجمادات كباب المتولي ونعل الكاشني وشجرة الخنق وشجرات الست المنضورة التي تحبل العاقر وغير ذلك . وجعلوا لكل ولي وظيفة فبعضهم يشفي الامراض المزمنة وبعضهم يشفي الرمد الحاد وبعضهم يرد الاطفال الضالين (التائهين) الى غير ذلك . على ان رسائله التي نشرها لارشاد المسلمين تصرّح بان الله وكل بقبور الاولياء ملائكة تقضي حاجات زائريها وان بعضهم يخرج من قبره فيقضي الحاجة بنفسه . وهذا شيء لا يعلم الا من الوحي ولم يرد به كتاب منير ولا سنة صحيحة . وسنعود الى قيمة الانتقاد